جامعة دمياط
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

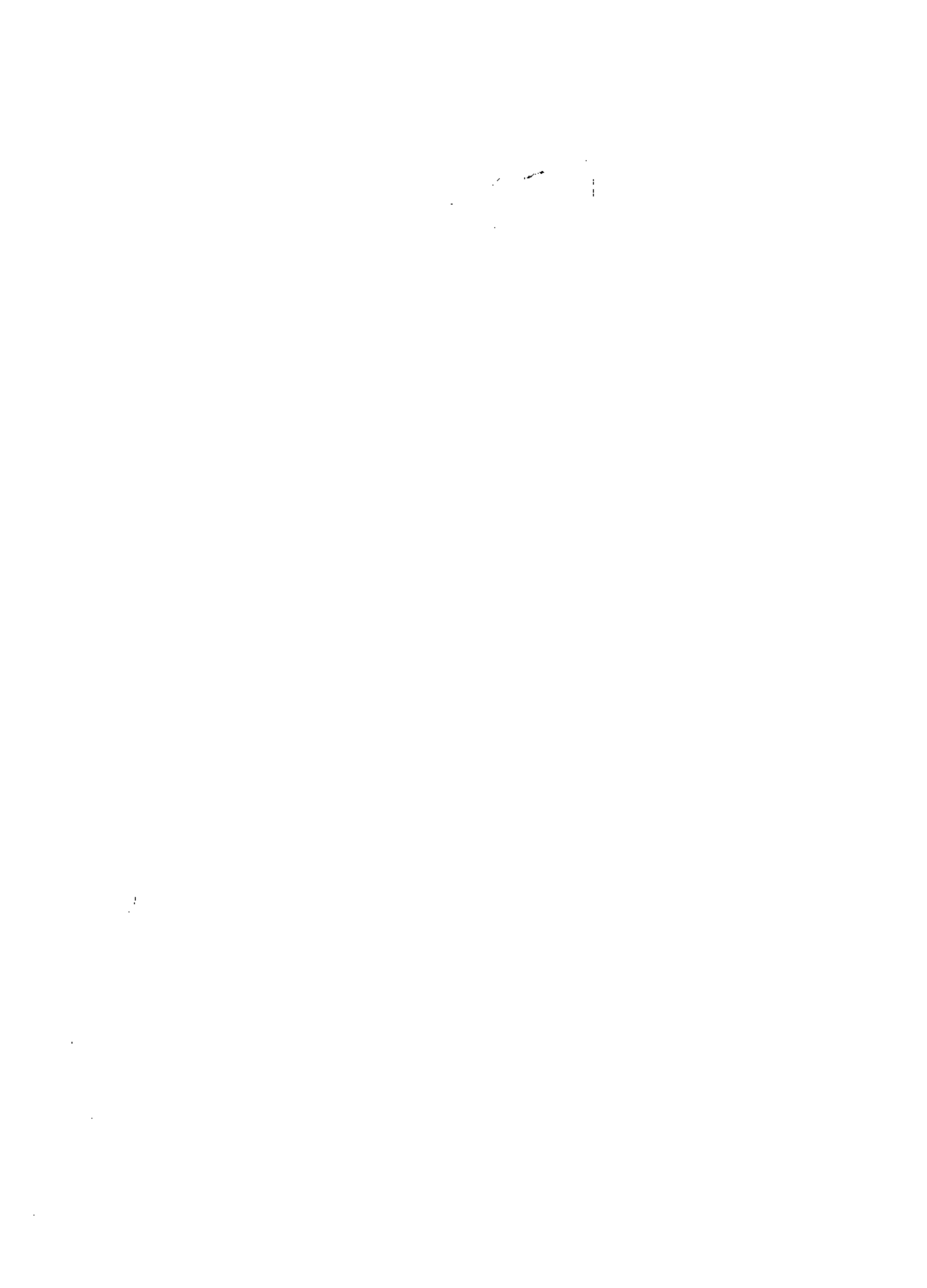
الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
خادم اللغة العربية

بحوث ودراسات نقدية في المسلسلات والدراما العربية

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨م

الناشر : المؤلف
Abu_elkhair@yahoo.com
٠١٢ ٢٧ ٢٠ ٢٢ ٨٦

طبع الكتاب
بمطابع دار الأصدقاء
بالمنصـــورة



دراســة العربيــة
بيــن المكتــوب
وبيــن المنطــوق

مر على العربية دهرا ، بل قل : دهورا دهورا انحصرت الدراسات والبحوث في عربية بني يعرب على النص+ المكتوب فقط ، شعرا كان النص أم نثرا ، وقد آن الأوان والزمان كي نتجه من المكتوب إلى النص المنطوق خاصة أن أجهزة التسجيل الصوتي ، بل الصوت المرئي أصبحت متاحة متاحة.

على سبيل المثال درسنا القراءات القرآنية المختلفات الروايات ، وكل هذا كان على النص المكتوب متكنا معتمدا ، وقد آن الأوان للعودة إلى دراسة ما سبق متكنين على النص المنطوق لا المكتوب ، فقد درست قراءاتي نافع (ت١٦٩ هـ) وشيخه أبي جعفر (ت١٣٠هـ) سيما روايتي ورش عثمان بن سعيد (ت١٩٧هـ) وقالون ، عيسى ابن مينا (ت٢٢٠هـ) وهما تلميذا الإمام نافع.

هذي الدراسة كانت معتمدة على النص المكتوب ، خاصة الروايتين المذكورتين هنا ، وقد آن الزمان وأوان الأوان لدراسة هاتين الروايتين على النص المقروء المنطوق ، أي مطبقين على كيفية أداء القراء لما هو مكتوب مسطر في بطون الكتب والأوراق ، بل يجب أن نقارن بين النص المكتوب وبين المنطوق على ألسنة القراء ، خاصة القراء المصريين ، كما يمكن أن نقارن بين القراء المصريين في أدائهم لرواية ورش مثلا عن أداء القراء المغاربة مثلا مثلا ، وهكذا.

والآن بعد انتشار الحاسوب بهذي الصورة ووسائل تسجيل ميسورة وميسرة ومتاحة أصبحت لدينا مواد منطوقة غير محدودة ولا محصية بالحاء ، هاتيك المواد هي كنوز عالية القيمة غالية أثمانها وفوائدها ، منها الدراما العربية الفصيحة.

والقصد بالعروبة هنا عروبة اللغة واللسان ، أي سواء أكان إنتاجها في العالم العربي أو في خارجه مصداقا لحديث سيد الخلق : (وليست العربية من أحدكم من أب ولا أم ، إنما العربية اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي [١]).

وقد اخترنا ثلاثة أمثلة من هذي المسلسلات العربية لدراستها دراسة أدبية نقدية نشير قبيلها إلى ملاحظ لغوية معلقين على اللغة في كل منها ، خاصة من خلال تحليل الأخطاء ثم نتبع هذا بالدراسة النقدية ، هذي المسلسلات هن :

١- يوسف الصديق ، عن نبي الله يوسف بن يعقوب ، عليهما السلام.
٢- رجل الأقدار ، عن عمرو بن العاص (ت٤٣ هـ).
٣- المختار الثقفي ، عن ثورة التوابين التي قادها الشهيد ابن الشهيد ، المختار ابن أبي عبيد الثقفي (ت٦٧هـ).

وبالطبع ستكون البداية مع الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، أي : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، أبي الأنبياء.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ص١٦٤.

قصة يوسف الصديق في تراث العربية

قبل أن نشير إلى ما ورد في التراث حول يوسف نشير إلى أن نبي الله يوسف ـ عليه الصلاة وعليه السلام ـ سمي بيوسف الصديق في القرآن الكريم ، أي أن لقب الصديق تلقيب رباني إلهي قرآني جاء في قوله تعالى على لسان الذي نجا من القتل بسبب تآمره مع زميل له على قتل الملك فقتل ذياك الزميل ونجا الآخر ، جاء في سورة يوسف :

(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) أي قال للملك في حضور حاشيته : (أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) أي أرسلوني إلى يوسف ، وكان ما زال في محبسه ، فقال له الناجي : (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ...[١]) الذي رآه ملك مصر ، ففسرها نبي الله ، إذ رؤى الأنبياء وحي صادق من السماوات العلي ، وكذا عَبْر الأنبياء لأية رؤيا ـ أي تفسيرهم ـ حق وصدق لاشية فيه.

وقد حكى القرآن القصة كلها في سورة بأكملها ، سميت باسم نبي الله يوسف الصديق ، هي السورة رقم ١٢ في ترتيب السور ، من الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء ... إلخ ، آياتها ـ أي سورة يوسف ـ في عدها ١١١ مائة وإحدى عشرة آية في رواية حفص ـ ت ١٨٠هـ ـ عن ـ عاصم ت١٢٧ هـ ـ رضي الله عنهما.

---

(١) الآيات ٤٥ ، ٤٦ من سورة يوسف.

وقد حكت السورة القصة من الألف إلى الياء ، منذ رؤيا الطفل يوسف إلى أن تحققت هذي الرؤيا في نهايات السورة في الآية المائة تماما تماما.

اسم يوسف تردد في القرآن الكريم كله ٢٧ مرة ، وفي سورة يوسف وحدها فقط ٢٥ مرة ، وجاء اسم يوسف في غير سورته مرتين فقط ، في سورة الأنعام مرة وفي غافر أخرى :

- (... وَمِن ذُرِّيَّتِهِ) أي إبراهيم (دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ...) ٨٤ الأنعام.
- (وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً ...) ٣٤ غافر.

فهل جاء الاسم الشريف على لسان خاتم المرسلين ؟ نعم ؟ كيف ؟ :

١- الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) رواه البخاري.
٢- لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ، ثم جائني الداعي لأجبته ، إذ جاءه الرسول فقال : ارجع إلى ربك فاسأله : ما بال النسوة اللاتي قطعت أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ... رواه أحمد.
٣- أعطى يوسف وأمه شطر الحسن (صحيح الجامع).
٤- سأل النبي - صلى عليه وآله - أصحابه : أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ، فسأل الصحابة ما عجوز بني إسرائيل ؟ أجاب : إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق ، فقال موسى : ما هذا ؟ فقال علماؤهم : نحن نحدثك : إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج

من مصر حتى ننقل عظامه معنا ، وعندها سأل موسى : فمن يعلم موضع قبره؟ فقال العلماء : ما ندري أين قبر يوسف إلا عجوزا من بني إسرائيل ، فبعث إليها فأتته، فقال لها : دلينا على قبر يوسف فقالت: والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي؟ قال : وما حكمك ؟ قالت : أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك ، فأوحى الله إلى موسى أن أعطها حكمها ، فانطلقت بهم إلى بحيرة ، موضع مستنقع ماء ، فقالت : انضُبوا ـ بضم الضاد ـ هذا الماء فأنضبوا ، قالت احفروا ، واستخرجوا عظام يوسف ، فلما أقلوها إلى الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار [١].

صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، وقال : إسناده صحيح على شروط مسلم.

٥- قال النبي : الفتيان اللذان أتيا يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ في (تأويل) الرؤيا إنما كانا تكاذبا ، فلما أوّل رؤياهما قالا : إنا كنا نلعب !! قال يوسف : قضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين.

ونختم ما ذكر بقولة ابن عباس : إن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله يتلو هذه السورة أسلموا لموافقتها لما عندهم [٢].

---

(١) كأنما أصبحوا في جزء من الليل.
(٢) راجع موقع www.alukah.net .

ويبقى السؤال الذي يحيرني لماذا وصى نبي الله يوسف أن يبقى جثمانه إلى أن يخرج موسى ومن معه من مصر ، ولِمَ لمْ يأمر يوسف بنقل جثمانه إلى مقبرة أجداده في الخليل ؟؟ سؤال موجهُ للقراء ؟!.

وبعد الإشارة إلى قصة يوسف الصديق في القرآن وسنة المصطفى - صلى الله عليه وآله - نشير بعض إشارة إلى ما كان من قصة يوسف في الأدبيات العربية أو المصادر العربية القديمة ، والتي اخترنا منها :

تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، حيث جاء في الجزء الأول [1] ما قبسنا منه ، فاخترنا ما يلي :

١ـ لما ماتت (راحيل) والدة يوسف دفع يعقوب طفله الصغير إلى أخته لاحتضانه ، فكان من شأن يوسف وعمته ما حكاه الطبري ، فكان أول ما دخل على ابن يعقوب من البلاء والاختبار عمة يوسف ابنة إسحاق والتي كانت أكبر ولد أبيها ، فصارت إليها منطقة أبيها (حزامه) وكانوا يتوارثونه بالكبر - كبر السن - وهكذا.

فكان أن العمة أحبت ابن أخيها حبا جما ، ولذا فإن يعقوب عندما أحب استرداد ابنه قائلا لشقيقته :

- يا أخية ، سلمي إليّ يوسف - فوالله - ما أقدر أن يغيب عني ساعة.
- والله ما أنا بتاركته.
- والله ما أنا بتاركه (هكذا قال الأب).
- فدعه عندي أياما أنظر إليه وأسكن عنه ، فلعل هذا يسلّيني عنه.

---

(١) ص٣٣٠ ، القاهرة ١٩٦٧م.

فلما خرج يعقوب عمدت العمة إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة ـ بكسر الميم ـ إسحاق) فانظروا من أخذها.

فالتُمِست فلم يجدوها ، فطلبت العمة أن يكشفوا (يفتشوا) أهل بيت يعقوب ، ففعلوا فوجدوها مع يوسف ، وهنا استسلم يعقوب للأمر ، فما استطاع استرداد صغيره حتى ماتت العمة ، ولذا عرض إخوته بما سبق قائلين : (إن يسرق [1] ، فقد سرق أخ [2] له من [3] قبل ...).

وقد وردت حكاية يوسف مع عمته هذي مفصلة في المسلسل ، كما أشار إليها يوسف نفسه في حواره مع امرأة العزيز حين صرح بأن حب يوسف كان سبب شقاء عمته ، وأن امرأة العزيز سوف تلقى مصيرا مشابها لما لقيته بنت إسحاق.

٢ـ أما الرجل الذي اشترى يوسف مع إخوته فهو مالك بن ذاعر ، ينتهي نسبه إلى الجد خليل الله ، إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلامات ـ في حين إن من اشتراه من مصر هو (قطفير) أو (أطفير) عزيز مصر الذي كان على خزائنها ، وهو ما جاء في المسلسل أيضا ، وإن كان اسم العزيز هو : [4] (بوتيفار).

٣ـ وهذا طرف من حوار عزيز مصر يوسف بن يعقوب مع إخوته الذي عرفهم وهم له منكرون غير عارفين ، نظر يوسف إلى الإخوة قائلا :

---

(١) بنيامين.
(٢) قاصدين أخاهم يوسف.
(٣) ٨ يوسف.
(٤) المرجع السابق ١ / ٣٣٥.

- أخبروني ، ما أمركم ؟ فإني أنكر شأنكم.
- نحن قوم من أهل الشام.
- فما جاء بكم ؟
- جئنا نمتار طعاما.
- كذبتم ، أنتم عيون ، كم أنتم ؟
- عشرة.
- أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم أمير ألف ، فأخبروني خبركم ؟
- إنّا إخوة ، بنو رجل صدّيق ، وإنّا كنا اثنى عشر.
- وكان أبونا يحب أخا لنا ، ذهب معنا إلى البرية فهلك هنالك ، وكان أحبنا إلى أبينا.
- فإلى من سكن أبوكم بعده ؟
- إلى أخ لنا أصغر منه.
- فكيف تخبرونني أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ، ائتونيبأخيكم هذا حتى أنظر إليه ....
- فضعوا أحدكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا أخاهم شمعون.

وعندما رجع الأبناء إلى أبيهم قالوا : يا أبانا : إن ملك مصر أكرمنا كرامة ، لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ... فقال يعقوب : إذ أتيتم ملك مصر ، فاقرءوه مني السلام ، وقولوا له : إن أبانا يصلي عليك ، ويدعو لك [1] بما أوليتنا.

---

(١) السابق ١ / ٣٥٠ وقبلها.

٤- وهذا آخر اقتباس من تاريخ الطبري عن قصة يوسف الصديق :

وأوصى يعقوب ابنه يوسف أن يحمل جسده بعد وفاته حتى يدفنه بجنب أبيه إسحاق ، وجدّه إبراهيم [١] ، فمضى يوسف بأبيه حتى دفنه بالشام ، ثم عاد إلى مصر ، وأوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسد يوسف عند خروجه من مصر معه [٢].

ومرة أخرى نسَاءل ونسَاءل كما سبق أن تساءلنا : لم بقي جسد يوسف في مصر ٦٠٠ سنة أو أقل ليأخذ موسى معه إلى مقبرة حيرون ؟؟ سؤال نحيله إلى القراء الكرام.

والآن مع التفاسير القرآنية اخترنا هذا التفسير المهم بهذا العنوان :

(١) في مقبرة الأسرة في حبرون (مدينة الخليل) في فلسطين.
(٢) السابق ١ / ٣٦٤.

قصة يوسف الصديق في تفسير ابن كثير

ومن نافلة القول هنا أنا نحاول التقاط بعض النقاط حول ما جاء عن قصة الصديق يوسف في هذا التفسير المهم ، ما يكمل الصورة في المسلسل ، أو يؤيدها أو يوكدها :

١- سبب نزول سورة يوسف : يحكي ابن كثير في تفسيره [(١)] ما يلي :

ملّ أصحاب رسول الله - صل الله عليه وسلم - ملة ، فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا فأنزل : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) ٢٣ الزمر.

ولكن الصحابة عادوا فملوا ملة أخرى ، فقالوا : يا رسول ، حدثنا فوق الحديث ، ودون القرآن - يعنون القصص - فأنزل الله :
(الر ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين {١} إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {٢} نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ{٣}) إلى آخر السورة.

ولقد أرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص.

---

(١) ٣ / ١٤٩٠ ، القاهرة ٢٠١٠م.

وفي قول الله تعالى في سورة يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ جاء قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ) آية ٧.

في هذا القول أتصور أن هؤلاء السائلين هم صحب سيد الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين سألوا نبيهم :

- يا رسول حدثنا.
- يا رسول الله : حدثنا فوق الحديث ، ودون القرآن ، أي القصص.

٢ـ عندما ظفروا بيوسف : إنه لم يك بين إكرامهم لأخيهم وتوددهم إليه وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيهم ، وتواروْا عنه ، حتى شرعوا يؤذونه بكل قول ، من شتم ونحوه ، والفعل من ضرب وصفع ونحوهما ، ثم جاءوا به إلى ذياك الجب الذي اتفقوا على رمي أخيهم فيه ، فربطوه بحبل وفيه دلوه ، إذا لجأ إلى واحد منهم لطمه وشتمه ، وإذا تشبث بحافات البير ضربوه على يديه ، ثم قطعوا الحبل من نصف المسافة ، حتى سقط إلى الماء الذي غمره ، فصعد إلى صخرة وسط البير فقام فوقها [1].

وفي هذا الموقف العصيب أوحى الله ليوسف : (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) آية ١٥.

يذكر الله ـ تعالى ـ لطفه ورحمته بيوسف وإنزاله اليسر حال العسر ، لقد أوحى إلى يوسف في ذياك البئر المخيف تطييبا لقلبه وتثبيتا : لا تحزن يا يوسف

---

(١) السابق ٣ / ١٤٩٥.

مما أنت فيه فإن لك من ذلك فرجا ومخرجا حسنا ، وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك وستخبرهم بما فعلوا معك من ذياك الصنيع (وهم لا يشعرون) يوحي الله له بما سبق [1]..

قال ابن عباس : لما دخل إخوة يوسف على أخيهم عرفهم ، وهم لم منكرون غير عارفين ، عندها جيء ليوسف بالصواع ، نقره يوسف فطنَّ (رنَّ) فقال : إنه ليخبرني أنه كان لكم أخ من أبيكم ، يقال له يوسف يدنيه ويقربه دونكم ، وأنكم قد انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب ، ثم نقرة فطنَّ فأتيتم أباكم فقلتم : إن الذيب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب [2].

٣- بائع يوسف ومشتريه : إن الذي باع يوسف هو مالك بن ذاعر ، ينتهي نسبه إلى الجد إبراهيم خليل الرحمن ، جد يوسف - عليهم الصلوات والسلامات - أما الذي اشترى نبي الله يوسف بكل الفخر لنا - نحن المصريين - فهو - كما قال ابن عباس : الذي اشتراه - أي يوسف - من مصر عزيزها ، وكان اسمه (إطفير بن روحيب) أو قِطفير ، وهو العزيز ، وكان على خزائن الأرض في مصرنا ، اسم امرأته زليخة.

ومن عجب قول الصحابي الجليل القدر عبد الله بن مسعود - رضوان ربي عليه والرحمات :

- أفرس الناس ، أو أشدهم فراسة.
- عزيز مصرَ (حين اشترى يوسف بآلاف قطع الذهب بمجرد رؤيته).

---

(١) راجع الحلقة ٧.
(٢) ابن كثير ١٥٩٦١٣ ، شاهد الحلقة رقم ٤٤.

- ومن قالت لأبيها عن موسى : (يَا أبَتِ اسْتَأجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) ٢٦ القصص.

٤- شاهد على براءة يوسف : في قوله تعالى : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أهْلِهَا [١]) - من أهل زليخة - وكان صبيا في المهد ، يقول سيد الخلق : تكلم في المهد أربعة ، منهم شاهد يوسف ، ومنهم عيسى ابن مريم ، وجاء في الصحيحين : سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب فقال : إني أخاف الله [٢].

إن نبي الله يوسف لم يقل فقط : (إني أخاف الله) ، بل قال أيضا : (رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ).

٥- امتناع عن الخروج : من السجن إلا بعد إثبات براءته مما نسب إليه من الخيانة، ففي تفسير ابن كثير : لما طلبه الملك الكبير في آخر مدة السجن امتنع يوسف الصديق من الخروج من سجنه حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة ، كما جاء في قوله : (ارْجِعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْألْهُ : مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) فلما تقررت براءته وتأكدت ، خرج وهو نقي العرض [٣] ، صلى الله عليه وسلم.

٦- مصارحة الفتيين : قال يوسف الصديق للفتيين حين صارحاه بحبهما له :

ما أحبني أحد إلا دخل عليَّ من محبته ضرر :

---

(١) ابن كثير ٣ / ١٤٩٨ ، وكان اسم عزيز مصر في المسلسل بوتيفار ، قريبة من (إطفير) أو تحوير لها ، ٢٦ يوسف.

(٢) ٣ / ١٥٠٢.

(٣) السابق.

- أحبتني عمتي فدخل عليّ الضرر بسببها.
- وأحبني أبي فأوذيت بسببه.
- وأحبتني امرأة العزيز فكان ما كان [1].

٧- سبب قدوم إخوة يوسف : إلى مصر أن عزيز مصر (يوسف) لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع المخصبة ، ثم تلتها سنين الجدب وعم القحط بلاد مصر بكمالها ووصل إلى بلاد كنعان التي فيها يعقوب النبي وأولاده ، وعندها احتاط يوسف للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع ، فحصل من ذلك للناس من ذلك مبلغ عظيم ، وكميات هائلة من الحنطة ، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والبلدان يمتارون لأنفسهم وعيالهم.

٨- امرأة العزيز : تقف على ظهر الطريق بعد أن علا شأن يوسف وساءت أحوالها بعد وفاة بعلها وتقول للصديق حين مر في الطريق : (الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته ، والملوك عبيدا بمعصيته).

أما النص الذي جاء في المسلسل [2] بذات الموقف فهو قول زليخة ليوسف :

يوسف ، يوسف ، يوسف : سبحان الإله الذي أعز عبده إذ أطاعه فجعله حاكم مصر وعزيزها وسبحان الذي أذل أصحاب المقامات إذ عصوه وألبسهم لباس الخضوع والمسكنة.

وكان من جملة من ورد للميرة إخوة يوسف بأمر من أبيهم في ذلك الذي بلغه أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه ... وعندما دخلوا على يوسف وهو جالس

---

(١) السابق.
(٢) الحلقة ٣٨.

في أبهة الرياسة والسيادة عرفهم ، وهم له منكرون ، لا يعرفونه لأنه فارقوه وهو صغير حدث ، وقد باعوه للسيارة ولا يدرون أين يذهبون به ، وما كانوا يتصورون للحيطة أن يصير إلى ما صار إليه ، ولذا ما عرفوه في حين عرفهم.

وهنا يشرع العزيز في مخاطبتهم :

العزيز : ما أوَكم بلادي ؟

الإخوة : إنّا قدمنا للميرة.

يوسف : فلعلكم عيون ؟

الإخوة : معاذ الله !!

يوسف : فمن أين أنتم ؟

الإخوة : من بلاد كنعان ، وأبونا يعقوب نبي الله.

يوسف : وله أولاد غيركم ؟

الإخوة : نعم ، كنا اثنى عشر ، لكن أصغرنا هلك في البرية ، وكان أحبنا إلى أبيه ، وبقي شقيقه ـ يقصدون بنيامين ـ الذي احتبسه أبوه معه.

العزيز أمر باكرامهم ، وأمرهم باحضار شقيقه بنيامين معهم مهددا إياهم : (فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ). ٦٠ يوسف

وانتهى اللقاء مع العزيز على وعد أن يراودوا أباهم في إرسال بنيامين معهم[١].

(١) ابن كثير ٣ / ١٥١٤م ، وجاء هذا اللقاء في الحلقة رقم ٣٨ في الدقيقة ٤ من المسلسل وبعدها ، فأما أمر يعقوب لبنيه بالسفر إلى مصر وذكره العزيز ففي الحلقة ٣٦ ، الدقيقة ٤٤ وبعدها.

٩- تهديد يعقوب للعزيز : لما احتبس ابنه بنيامين بدعوى السرقة :

إنا أهل بيت مصابون بالبلاء ، جدي إبراهيم ابتلي بالنار ، وإسماعيل بخطر الذبح ، ويعقوب بفراق يوسف ... في حديث طويل لم يكمله ابن كثير ، لكن الرسالة كلها بتمامها جاءت في المسلسل ، في الحلقة رقم ٤٣ ، الدقيقة الرابعة ، وبعدها [1].

(١) فأما حديث الصواع فجاء في الحلقة ٤٤ ، الدقيقة الثانية بعدها.

مفهوم العقدة والحبكة

العقدة هي بلوغ الأحداث المتمثلة في الأزمات الصغرى والأزمة الرئيسة ذروتها حيث العلاقات بين الشخصيات تصل إلى درجتها القصوى.

أما الفعل النازل فإنه يتضمن الأحداث المتسلسلة التي تبدأ بفك العقدة شيئا فشيئا حتى تصل إلى الحل [1].

الحبكة إذن والعقدة إذن هما من عناصر القصة ؟ كيف ؟ :

الحبكة هي فن ترتيب الحوادث وربطها وسردها وتطويرها وهي نوعان :

- الحبكة المحكمة : التي تقوم على روابط محكمة متلاحمة ، تتشابك حتى تبلغ الذروة ، وتنحدر انحدارا سريعا نحو الحل.
- الحبكة غير المحكمة : أو المفككة التي تقوم على أحداث مختلفة غير مترابطة بروابط السببية ، ولا يجمع بينها سوى أنها تجري في زمان ومكان واحد.

أما العقدة أو الحل : فهما تأزم الأحداث وتشابكهما قبل الوصول إلى الحل ، وليس من الضرورة أن يكون لكل قصة حل ، فقد تكون نهاية القصة مفتوحة ، يدعها القاص لخيال القارئ واختياراته.

---

(١) تمهيد لكتاب الشخصية للكاتب عبد الله خمّار ، بناء الرواية في موقع : www.khammar.art.az.

وقد عن لنا أن نميل إلى معجم الدكتور لطيف [١] زيتوني لنقبس منه تعريفه لما سبق من مصطلحات :

الحبكة intrigue : هي في الرواية بنية النص ، أي النظام الذي يجعل من الرواية بناء متكاملا ، فتسلسل الأحداث البسيط لا يصنع رواية ، بل يصنعها ترتيب الوقائع واستخلاص النتائج ... نكتفي بهذا القدر ونحيل القارئ إلى التفاصيل التي ذكرها صاحب المعجم.

وكنت أتوقع تفصيلا مماثلا لمصطلحي العقدة والحل ، إلا أنه من عجب وعجبي أن المعجم ما تعرض لواحد من المصطلحين السابقين ، وهذا من غريب المعاجم.

آخر ما نسطره عن العقدة هنا هو اقتباس من ويكيبيديا [٢] :

العقدة : ويطلق عليها الحبكة الأولى ، وهي بدء الصراع الذي يفجر الحركة ويجعل أحداث القصة تتقدم ، وربما تتفجر ، وهو المشهد أو الحدث الذي يغير من حياة البطل ، وترسله في رحلة محاولا حل هذي العقدة والصراع ، بدون العقدة وحدوث التطور في حياة البطل وشخصيته ، وظهور عنصر التشويق تظل القصة باردة ساكنة بلا حراك [٣].

ونكتفي بما سبق خاتمين بما سمعناه من أستاذنا الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل عندما كان يدرس لنا الأدب الحديث ونحن في الفرقة النهائية في كلية دار

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية.
(٢) ص٧٢ وبعدها.
(٣) www.ar.wikiped.org.

العلوم في مبناها الخشبي [1] العتيق : إن جودة العقدة تكمن في حلها رويدا رويدا ، جزءا جزءا ، وليس بشكل فجائي مفاجئ ، كما أن الحل يبدو منطقيا مع تتابع الأحداث ، وهذا ما وجدناه تماما تماما في قصة يوسف الصديق ، خاصة في ذياك المسلسل الذي حمل ذياك العنوان.

(١) والذي حصل على استمارة ٦ عام ١٩٨٠م ، من القرن العشرين.

حفنة معلومات حول المسلسل وانطباعاتي عنه

حصلت على حفنة معلومات عن ذياك المسلسل :

١- هذا المسلسل حصل على ٩٤% من المعجبين من مستخدمي جوجل ، أو كما أسميه أنا (جلجل) بكسر الجيمين.

٢- هو مسلسل تاريخي إيراني يحكي قصة نبي الله يوسف (الصديق) منذ ولادته في العراق ، أو (فدان) إلى انتقاله مع أسرته وأبيه يعقوب النبي إلى فلسطين (كنعان) ثم وضعه في البير وانتقاله إلى مصرنا ، والتقائه بأبيه وإخوته في مصر بعد غياب طويل.

٣- المسلسل جاء في ٤٥ حلقة [١] سجلها لي في تايلاند ٢٠١٠ تلميذي المقرب (الشربيني مختار) من كمبوديا ، وقد استغرق العمل فيه ثلاثة أعوام كوامل ، في أعوام ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٨م.

٤- المسلسل كان باللغة الفارسية ، ثم عرب بعد ذلك حتى يفهمه من تعرب لسانه ، في عالم بني يعرب ، أو في خارجه.

تلميذي الكمبودي سالف الذكر حكى أن أمه كانت ترغب إليه دوما أن يقرأ عليها سورة يوسف خاصة ، بيد أنها كانت تسأله في بعض تفاصيل القصة وما يسطيع الجواب إلى أن شاهد المسلسل ففصل لها ما إليه ترغب وتتفهم.

---

(١) www.google.com.eg.

٥ـ من الممثلين فيه :

- مصطفى زماني.
- كتايون رياحي (زليخة).
- حسن جعفري (يوسف).
- حكيم نوروزي.
- ليلى بلوكات.

أما انطباعاتي عنه فهو عمل درامي ضخم ومرموق ، قدم مصر القديمة بشكل لائق جعلني أعيد النظر في الجزء القديم من تاريخ بلدي ، إن ما أنجزته مصر القديمة كان من أسبابه وأسسه عبقرية الإدارة، وما كان حكام مصرنا القدماء فراعنة أو مستبدين ، وما كان المصريون القدماء فراعنة ، وقد رفضت هذا الوصف مرارا مرارا وتكرارا تكرارا.

ومن خلال المسلسل ظهرت عدة مؤشرات على عبقرية الإدارة ونجاحها وتحريها للعدل والإنصاف :

١ـ إن ملك مصر (أمنحتب الثالث) والد إخناتون ، هذا الأول وابنه خاضا صراعا مريرا ضد كهنة معبد آمون برياسة الكاهن الأعظم (أليخماهو) وقد انتهى هذا الصراع بمحاولة دس السم للملك وأفراد أسرته لقتلهم.

لقد تمكن الكهنة من اختراق القصر فوصلوا إلى معد طعام الملك وساقيه لوضع السم في طعام الأسرة المالكة ، ولكن المؤامرة انكشفت ، فكان المتوقع أن يعصف الملك بالكهنة ومعبدهم ، إلا أنه عقد محاكمة علنية لأطراف المؤامرة ومن وراءهم ، خاصة الكهنة ، لكن معد طعام الملك أنكر ـ بعد اعتراف في السجن ـ أن معبد

آمون متورط في هذي المؤامرة ، وأنه حاول اغتيال الملك بدافع ذاتي منه ، وبرأ المعبد مما نسب إليه.

ومن هنا نجا المعبد ، وحكم على الجاني بالإعدام ، وصلب ، ثم أكلت الطير من رأسه ، كما قال يوسف في تفسير حلمه وحلم الساقي ، الذي جاء في سورة يوسف [١].

ولو كان (أمنحتب) حاكما متسلطا متفرعنا لعصف بالكهنة ورجال المعبد ، ولكن الرجل برغم يقينه التام أن المعبد [٢] كان وراء المؤامرة إلا أنه سكت عنهم ، هذا ملمح ، وهاك آخر :

٢- أخناتون أو (أمنحتب) الرابع عندما رأى رؤياه ، وعجز الكهنة عن تفسيرها اقترح ساقي الملك زميل المتآمر على الملك والذي نجا من المحاكمة ، اقترح هذا الساقي العودة إلى يوسف في السجن بطلب من الملك يطلب تفسير حلمه والحضور إلى الملك وللمفاجأة رفض السجين يوسف طالبا التحقيق مع النسوة اللاتي قطعن أيديهن ـ من ضيفات زليخة ـ زوجة بوتيفار ، عزيز مصر.

ويرضى إخناتون ويرضخ لمطلب السجين ، ويأتي بالنسوة ليحقق معهن على ملأ من وجهاء القوم [٣] ، ولو كان فرعونا متسلطا غشوما لأحضر السجين إلى الملك مكبلا مغلغلا في الأصفاد والأغلال ؛ لكنه ما فعل شيئا من ذياك.

---

(١) راجع الآيات ٤١ وقبلها.
(٢) راجع نهاية الحلقة ٢٢.
(٣) راجع الحلقة ٣٥.

٣- والشيء بالشيء في مصرنا يذكر فلا يعاب من أحد ولا حتى منه ينكر ، فإن بعض الجامعات أو الكليات في بلدنا قد يشغر فيها منصب الرئيس أو العميد ، أو... أو ... فيبقى شاغرا شهورا شهورا حتى يكسر السنة أو أكثر اكتفاء بقائم بعمل العميد أو رئيس الجامعة ، عجبي !!.

وفي مصر القديمة في عهد أخناتون ، وقبل دفن عزيز مصر الموقر (بوتيفار) قبل وضعه في الثرى عين نبي الله يوسف في منصبه عزيزا جديدا في مصرنا ، أليس هذا من عبقرية الإدارة في مصر القديمة ، قد حصل من آلاف السنون - السنين - والأعوام ، أليس هذا شيا (شيئا) يمكن أن يُحتذي ويُقلد.

إن منطقة الشرق الأوسط بما فيها العالم العربي سوف تتغير حتما حتما ورغما رغما ، ولزما لزما ، وإن لم نتغير - نحن العرب - و - نحن المصريين - حكاما ومحكومين فلعل العواقب تكون وخيمة :

لقد أسمعت لو ناديت حيا *** ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارٌ نفخت بها أضاءت *** ولكن أنت تنفخ في الرماد [١]

نعود إلى أخناتون ملك مصر العظيم ، لقد كان في جنازة بوتيفار وقبل أن يوارى الثرى أمام جموع المشيعين من أعيان مصر ورجالاتها أصدر قراره الملكي :

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، الصحابي أبو ثور - من أمراء قبيلة زبيد ، شاعر وفارس ، اشتهر بالشجاعة والفروسية حتى لُقِبَ بفارس العرب ، وكان له سيف اسمه الصمصامة ، وقد شارك في معارك الفتح الإسلامي في الشام والعراق وشهد معركة اليرموك والقادسية ، ولم يتخلف عن حرب مع المسلمين ضد أعدائهم قط ، وكان طويل القامة ، قوي البنية حتى إن عمر بن الخطاب قال فيه : (الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرا) تعجبا من عظم خلقه.

عملا بالعرف السائد في مصر عليَّ أن أعين خليفة لبوتيفار ، في مراسم تشييع جثمانه ، ثم عيّن الملك يوسف الصديق خليفة للراحل [1] العظيم.

٤ـ عرض المسلسل كيف ضرب القحط المنطقة كلها ودول الجوار ، البلدان المجاورة لمصر ، ولكن مصر وحدها التي اختصها بالنجاة من ذياك القحط ، بدءا من تفسير نبي الله يوسف لمنام الملك (أخناتون) ثم أشرف بنفسه على إدارة الأزمة ببناء مخازن الغلال في كل رجا من أرجاء المصر العزيز.

وبما أن مصرنا البلد الوحيد الذي نجا من هذا القحط الخطر والذي ضرب الجوار أيضا ، فقد جاءت الناس تترى من الأقطار المجاورة لإنقاذهم من ذياك الخطر العظيم ، وكان هذا سببا مؤديا للقاء يوسف بإخوته وتعرفهم عليه وكشف مصير الطفل يوسف الذي ادعى إخوته أن ذيبا ـ ذئبا ـ أكله.

وهذا مشهد من مشاهد الرحمة ـ يبديها نبي الله ـ عزيز مصر ـ يوسف الصديق لغير المصريين من الخامديين :

أحد هؤلاء الواقفين أمام مخازن الحنطة سأل زميله : من هؤلاء ؟ حيث ظهر بعض الغرباء ورجلين شعورهم سوداء طويلة ، رد هذا الزميل على سائله :

- من أهل الشمال ، الخامديين ، جاءوا يشترون الحنطة.
- وهل نملك هذا القدر من الحنطة لنعطيهم.

---

(١) راجع الحلقة ٢٨.

ويكتمل المنظر بسؤال يوسف الصديق لكهنة آمون الذين يقفون في الطابور لاستلام الحنطة [١] :

- أرى أن الكهنة أيضا جاءوا يشترون الحنطة من هنا ؟!
- يرد أحد الكهنة : أجل وبأضعاف سعرها ، ويردف آخر من الكهنة : حال معبد آمون في الوقت الراهن أسوأ من حال هؤلاء (يقصد الخامديين) فلم لا تساعدوننا ؟.
- ويرد يوسف الصديق : أولا هؤلاء هم الخامديون ، وهم بشر مثلنا ، وثانيا هم يدفعون الخراج لمصر منذ سنوات ، ويستودعون القسم الأكبر من محاصيلهم عند حكومة مصر ، أما الآن وقد ابتلوا [٢] بالقحط فمن واجبنا أن نقوم بمساعدتهم ، أما آمون فهو إله ثري مما يضيره - يا ترى - إن أنفق قسما من ثروته على كهنة معبد آمون ؟!
- ويرد أحد الكهنة غاضبا ، صاحب خزينة معبد آمون : في الماضي ، كان هذا في الماضي ، أما الآن فآمون لم يعد ثريا ، ما كان يملكه أنت أخذته.
- قال الكاهن صاحب الخزينة وهو يتميز غضبا (ببرطمته) المتكررة (مَ مَ) [٣] المعبرة عن الاستياء والاعتراض.

وهكذا رقّ ورفق نبي الله ، يوسف الصديق بحال غير المصريين من أهل الشمال ، من الخامديين وغيرهم ، ولم يقتصر هذا الرفق على أهل مصر ، بل فاض

---

(١) الحلقة ٣٥ ، الدقيقة الثالثة وبعدها.
(٢) جاء نطقها في المسلسل (ابتلوا) بفتح اللام ، كأنها من الماضي المبني للمعلوم ، وهذا خطأ صريح صراح ؛ إذ هو من الفعل المبني للمجهول (ابتلِيَ) بفتح الياء ، وضم التاء قبلها.
(٣) راجع الحلقة السابقة ٣٥ ، الدقيقة الرابعة.

على غيرهم ، ومنهم هؤلاء الخامديون ، وأول أسباب هذا الرفق أنهم بشر مثلنا ، ثم هم يؤدون الخراج إلى حكومة مصر ، بل يستودعون قسما هو الأكبر من محاصيلهم لدى الحكومة المصرية.

وفي النهاية هم ابتلوا - بضم اللام - بالقحط فكان من الشهامة والمروءة والحكمة أن تعطيهم مصر ما يسد رمقهم ، هذا منطق وبداهة.

٥- وهذي صورة رسمها هذا الحوار بين يوسف وبين مشتريه وبائعه مالك بن ذاعر ، هذي لوحة جميلة رائعة ترسم لمصر القديمة :

- مالك : تلك هي حدود بلاد مصر ، أمامنا مسير نصف يوم وسرعان ما سنبلغ حراس حدود تلك البلاد.
- يوسف : لم أر أثرا لحراس الحدود طوال مسيرنا.
- مالك : الشام وكنعان والحجاز وما عداها من الأمصار تترك فيها الأمور على هواها ، فلا حدود لها ولا أسوار لتحميها ، لكن مصر لها شأن كبير ، لها حدود مرسومة وفيها قوانين ملزمة ، وعندما حيش وحكومة تسوس أمر العباد إن ملك مصر أقوى رجال هذه البسيطة يا يوسف... هذه تخوم مصر يا يوسف.

تأتي بوابة دخول لمصر يشير الحارس إلى القافلة ليسألها : توقفوا ، من أنتم ومن أين تأتون ، ويرد مالك أمير القافلة : أنا مالك بن ذاعر من بلاد بابل ، ينظر الحارس في قراطيس معه ليعرف أن مالك بن ذاعر معروف لديهم.

يوسف نفسه يسأل : هل يعرفكم الحراس ؟ يرد على تساؤل يوسف أحد قادة القافلة : بالطبع يعرفوننا فنحن نقصد مصر للتجارة منذ أعوام خلت ، مصر بلاد عريقة من غابر الأيام ، لا تقارن بالشام وكنعان.

أترى صورة طيبة رسمت لمصرنا العريقة كهذي اللوحة الرائعة :

- الشام وكنعان وما عداها من الأمصار تترك فيها الأمور على هواها.
- لا حدود لها ، ولا أسوار لتحميها.
- لكن مصر لها شان كبير.
- لها حدود مرسومة.
- وفيها قوانين ملزمة.
- وعندها جيش ، وحكومة تسوس أمر العباد.
- إن ملوك مصر أقوى رجال هذه البسيطة.
- مصر بلاد عريقة من غابر الأيام.
- إنها لا تقارن بالشام وكنعان.

أترى صورة أروع من هذي الصورة.

وهذا حديث عن عاصمة المملكة : مالك يعرف بنفسه عند دخوله إلى العاصمة يسمح له بالدخول دليل معرفة حرس البوابة به.

يحكي مالك عن الحاضرة المصرية قائلا [١] ليوسف : نحن نسير باتجاه

---

(١) في الحلقة ٩ ، الدقيقة ٣٥.

الجنوب ... وعلى هذه الضفة من النيل حيث نحن ... تقع مدينة تبس [1] الأثرية (مدينة آلهة المصريين ، وهي مقر حكومة آمون ، حاكم مصر اتخذها عاصمة له إنهم يطلقون على تبس اسم مدينة الإله آمون) ، انظر هذه تبس تتراءى من بعيد.

ويضيف (مليح) أحد قادة القافلة معقبا على كلام مالك :

هذي هي (تبس) مدينة المائة بوابة ، ويعجب يوسف مكررا (مائة بوابة !!) يرد مليح : ليس فيها أكثر من عشر بوابات لكن المسافرين الذين يدخلونها يطلقون عليها مدينة المائة بوابة متى ما رجعوا على ديارهم.

وهذا حديث عن النيل :

- يوسف : ما أكبره من نهر !! هل هذا هو النيل ؟!
- مليح : هذا النيل الأصغر ، إنه من شعابه ، نهر النيل أكبر وأقدس من هذا.
- يوسف : لماذا هو مقدس ؟
- مالك : إنهم يقولون : إن مصر هي هبة النيل ، لولا النيل لما كانت مصر ، لم يقدر أحد حتى الآن أن يرى منبع النيل ، يزعمون أن الآلهة وحدها قادرة على بلوغه ، هذا النهر ينبع من الجنوب ، ويخترق مصر شمالا ليصب في البحر الأبيض ، مع الإقرار أن اسم (البحر الأبيض) تسمية حديثة أضيف إليها المتوسط تفريقا بينه وبين البحر الأبيض الذي في شمال روسيا نسبة إلى لون الثلوج التي تكسوه في شتاء الشمال الطويل.

---

(١) سيكون لنا حديث عن تيك المدينة في الملاحق.

هذا البحر الأبيض المتوسط كان اسم : (بحر الروم) كما جاء في الأطالس والخرايط القديمة.

وثمة ملحظة لغوية هنا ، وهي أن مالك نطق الفعل (ينبع) بفتح الباء - وإن صح الكسر في لغة أو لهجة - ما يصح مطلقا أن تضم الباء كما في نطق المعاصرين الذي أسمعه من القاصي والداني في مصر ، وربما في غيرها ، ولله في مخاليقه شئون وشئون وشئون.

لعلنا ننتظر غيرنا ليعلمنا - نحن العرب - صحيح لساننا ولغتنا.

الدراســة اللغويــة

الدراســة اللغويــة

جدير بنا ـ نحن باحثي العربية ـ أن نجوس خلال لغة المسلسل ، ليس بهدف استخراج الأخطاء والتنديد بها ، كلا إننا نريد ـ في الأساس والمقصد ـ أن نطمئن على لغتنا العربية (المنطوقة والمعاصرة) فإن كان ثم إشارة إلى أخطاء لغوية فالغرض منه التحليل ، بيان الأسباب ، ومدى خطورة الخطأ ، أو إسهامه في سوء الفهم عند المشاهد ، وهذي أهم ملاحظتنا على لغة المسلسل :

أولا ـ إن الجيم : من أول المسلسل على آخره ، في طوله وعرضه ، وعرضه وطوله هذي الجيم هي احتكاكية شامية [3] بشكل شديد الوضوح ، ويندر أن نجدها مركبة (قرآنية) أي مركبة من انفجار واحتكاك ، وتنطق على ألسنة القراء المجودين ، وفي الريف المصري وبعض الأقطار العربية.

إن الجيم القاهرية الانفجارية ـ من الناحية التاريخية ـ هي الأصل الذي متفرع عنه سائر أنواع الجيمات ، المركبة والاحتكاكية ، حيث نرى أن تطور الجيم العربية كان كالآتي :

ـ الجيم الانفجارية ← المركبة ← الاحتكاكية 3 → d 3 → g ـ

وهذا شيء متوقع لأن الممثلين الذين أدوا دور التعريب كانوا شوام ، لبنانيين أو سوريين ، وربما كانوا سوريين ولبنانيين.

في الفصحى في غير القرآن يصح النطق بأية واحدة من هذي الجيمات الانفجارية الأصل أو ما تفرع عنها ، سواء المركبة أو الاحتكاكية ، وعند تذوق هذي الثلاثة في النطق المعاصر أحس أن المركبة (القرآنية) هي الأجمل تليها الانفجارية (القاهرية) ثم الاحتكاكية الشامية ، مع التشديد على أن الجيم في القرآن هي مركبة فقط ، ليس انفجارية ألبتة ، فهذا النطق ممنوع في القرآن ، وكذا الاحتكاكية لا تصح في نطق آيات القرآن الكريم ، إلا إن كان الناطق لا يسطيع نطقها ، فقد يغتفر له ، وأما نطقها انفجارية فلا وألف لا.

ثانيا - الترقيق والتفخيم : برغم شدة وضوح قانون الترقيق والتفخيم وشدة خطورته فإنه أكثر القوانين التي تنتهك في قوانين نطق الأصوات العربية ، وهذا ما توقعته في المسلسل ، وهذا ما وجدته بالفعل ، وقبل أن أذكر بعض تجاوزات المسلسل في ذياك الموضوع أشير بتركيز شديد إلى ظاهرة التفخيم والترقيق في عربية بني يعرب ؟ هذا ما في الجعبة :

١- الترقيق والتفخيم في أصوات العربية ظاهرة فريدة في نطق الأصوات ربما لا نجد نظيرها في غير العربية .
٢- التفخيم هو أثر سمعي أي يدرك ويفهم من طريق السمع ناتج أو ناجم عن ارتفاع اللسان من الأمام والخلف ، مع انخفاضه من الوسط ، ورجوعه إلى الخلف قليلا ، أي شكله كالطبق الذي فيه نأكل ، والصوت الذي ينطق واللسان على هذي الشاكلة هو صوت مطبق ، أو مفخم ، والترقيق هو عكس كل ما سبق.
٣- موقف الأصوات العربية من الترقيق والتفخيم كالآتي :

أ ـ الحركات طويلها وقصيرها ـ الفتحة والضمة والكسرة وألف المد وواو المد وياء المد ـ لا توصف بأنها مرققة أو مفخمة ، وإنما تابعة للصامت قبلها ، إن كان مفخما فخمت ، وإن كان مرققا رققت.

ب ـ أصوات اللين ـ الواو في مثل ولد ، والياء في مثل يلد مرققتان في جميع الأحوال ، وتفخيمهما خطأ صريح صراح ، خاصة إن جاء بعدهما ألف مد ، مثل : (واقي ـ ضياء) لا يصح تفخيم الواو أو الياء ألبتة.

جـ ـ باقي الصوامت الستة والعشرين تنقسم إلى أربعة أقسام :

- الصوامت المفخمة : وهي : ص ـ ض ـ ط ـ ظ ، إنها في أعلى درجات التفخيم ، كما أنها مفخمة في جميع الأحوال والسياقات.
- صوامت بين التفخيم والترقيق : وهي : (ق ـ غ ـ خ) درجة تفخيم أقل ، كما أنها إن كسرت كانت أقرب إلى الترقيق ، تفخم إذا كانت مفتوحة أو مضمومة خاصة الغين والخاء ، فلا يصح ترقيقهما ، سيما إن جاء بعدهما ألف مد ، مثل : (لغات ـ خان) فلا يصح الترقيق البتة.
- اللام والراء : الأولى مرققة ، ولا تفخم إلا في لفظ الجلالة (الله ـ اللهم) شرط أن يسبق بفتح أو ضم ، مثل : (يا الله ـ كتابُ الله) فإن سبقت بكسر رققت ، مثل : (بسم الله ـ بالله) اللام هنا مرققة قولا واحدا.

وفي غير لفظ الجلالة اللام العربية مرققة مرققة لا ، تفخم ولو سبقها صامت مفخم ، كما في (صلاة ـ ضلال) هذا خطأ كبير صريح صراح ، بل إن بعض المؤذنين يفخم اللام في : (حي على الصلاة) حتى كأنما يوصل الهاء إلى حاء ، فيقول : (حي على الصلاح) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأما الراء فهي مفخمة إذا كانت مفتوحة أو مضمومة ، أو ساكنة قبلها فتح أو ضم ، فإن كانت مكسورة فهي مرققة ، وكذا إن كانت ساكنة قبلها كسرة.

- الصوامت المرققة : وهي باقي الصوامت عدا : (ص - ض - ظ - ق - غ - خ - ل - ر) = ٩ صوامت ، وهذي الصوامت المرققات قولا واحدا ، هن : (الهمزة - الباء - التاء - الثاء - الجيم - الحاء - الدال - الذال - الزاي - السين - الشين - العين - الفاء - الكاف - الميم - النون - الهاء) = ١٧ صامتا.

وهي أكثر - كما ترى - من الصوامت المفخمة التسعة السابقة ١٧/٩ من الصوامت العربية ، وعددها ٢٦ = ٩ + ١٧ ، وهكذا.

أبرز الخطأ في الصوامت المرققة هو تفخيمها ، في حين هي مرققة - مرققة ، بلا شك أو أدنى ريبة أو ريب ، وأبرز ما يكون ذياك الخطأ في تفخيم هذي المرققات حين يأتي بعدها ألف ، سيما سيما إن كان هذا المرقق هو الهمزة العربية ، كما في (قرآن) التي يشيع على ألسنة ما لا يحصى من الناطقين بتفخيم الهمزة ، وهو خطأ قبيح صريح وصراح ، وفي كل محاضراتي ودروسي وأحاديثي أشير إلى خطأ هذا النطق وفحشه وفحاشته.

وكذا كل صامت مرقق أتى بعده فتحة طويلة أو ألف مد ، مثل كلمات : (باطل - دراسات - عرفات - إرهاب - عطشان - فرحات - ناظر - عاطل) التفخيم في الصامت الذي تلته حركة طويلة أو ألف مد هو خطأ كثيرا ما نحذر منه ، ولا أقل من التحذير منه.

وقبل أن أسرد أمثلة من المسلسل على الخروج عن مسطرة الترقيق والتفخيم نشير إلى أن هذي المسطرة اتكأت على نطق القراء المصريين المجودين برواية حفص عن عاصم ، رحمة الله عليهما.

فهل هذا يعني أن الروايات الأخرى تختلف في الترقيق والتفخيم عما عليه رواية حفص عن عاصم ؟ نعم ، ففي رواية ورش عن نافع - مثلا مثلا - تفخم اللام إذا جاورت صامتا مفخما ، مثل : (صلاة - يصلي) على ما هو مفصل في مصادر القراءات والتجويد ، مثل :

- السبعة لابن مجاهد.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

والآن نقدم للقارئ أمثلة لتجاوز مسطرة الترقيق والتفخيم :

٢- صحيح أن هذي الدراسة معتمدة على خبرة سابقة وفكر سابقة ، لكن الصحيح الصحيح والحق الواضح الصريح أن النتائج هنا معتمدة بشكل رئيس على لغة هذا المسلسل (يوسف الصديق) بحيث لو طبقناه على غيره من شبه الموكد أن النتائج يمكن أن تختلف ، ولعلها يجب يجب أن تختلف.

٣- في ترقيق المفخم كانت النتائج كما يلي :

أ - الأمثلة التي جمعناها حول مخالفة مسطرة الترقيق والتفخيم كانت ٦٨ مثالا !! وهي كثيرة بلا شك ، كما ترى.

ب - أكثر الصوامت التي رققت ، وكان حقها التفخيم هي : (الراء - الخاء - الغين) على هذا الترتيب :

- الراء : ١٠ أمثلة.

- الخاء : ٨ أمثلة.
- الغين : ٣ أمثلة.

ويلاحظ هنا ما يلي : غياب القاف من الصوامت التي رققت والتي فارقت أختيها (الغين والقاف) فلم أسمع من رققها في المسلسل ، كما لم أسمع من رقق شيئا من الصوامت المفخمة (ص ـ ض ـ ط ـ ظ).

كما جاءت الراء على قمة ما رقق وكان حقه التفخيم (١٠ أمثلة) ومن هنا يجب التنبيه دوما إلى تفخيمها إذا كانت مفتوحة أو مضمومة ، أو ساكنة قبلها ضم أو فتح ، وترقق إذا كانت مكسورة أو ساكنة قبلها كسر.

٤ـ وفي تفخيم المرقق وجدنا ما يلي :

أكثر الصوامت التي فخمت وكان حقها الترقيق ، جاء على رأسها اللام = ١٠ مرات ، ثم السين ٧ مرات ، ثم التاء ٥ مرات ، ثم الفاء ٣ مرات ، ثم الميم ٢ مرتين ، وأخيرا الهمزة والنون والياء ، والثاء والدال في كل واحد مثال واحد فقط ، مثل ، مثل :

- فائقة بتفخيم الفاء.
- سابق بتفخيم السين.
- لائق بتفخيم اللام.

٥ـ كما لاحظت هنا شيئين آخرين :

أ ـ إن أكثر ما رقق وحرم حقه من التفخيم ، جاء بعده ألف مد ، كما في :

- الأصنام بتفخيم النون.

- صفاته بتفخيم الفاء.
- قلاقل بتفخيم اللام.

وكذا ترقيق ما حقه التفخيم ، مثل :

- الخان بترقيق الخاء ، مع أن حقها التفخيم.
- ذراري بترقيق الراء التي حرمت حقها من التفخيم.

ب - من المفاجئ أن رأيت القاف المفخمة هي أهم أسباب تفخيم الصوامت المرققة المجاورة لها في الكلمة ، مثل :

- قد تقع بتفخيم التاء.
- لم اسرق بتفخيم الهمزة.
- لا داعي للقلق بتفخيم اللام بين القافين.

وقد حاولت إحصاء المواضع التي كان فيها التأثير التفخيمي للقاف فوجدت أنها (٢٤ مرة) من مجموع الأمثلة التي فخمت المرقق ، وهي (٣٦ مثالا) أي = ٣٦/٢٤ أي ٣/٢ ، إذن هي نسبة الثلثين من الصوامت المرققة التي فخمت خطأ كان بسبب القاف ، وهذا ما يستحق النظر والنظر في السبب قبل الأثر.

هل لأن القاف لها طبيعة نطقية خاصة تتميز بها في مخرج فريد لا يشاركها فيه صامت عربي آخر، هذا المخرج المتفرد هو أقصى أقصى اللسان مع اللهاة بعد أقصى الحنك الذي منه مخرج الغين والخاء الاحتكاكيتين المفخمتين كالقاف التي تتميز عن رفيقتيها بأنها انفجارية ، والاثنتان الأخريان احتكاكيتان ، أهذا التفرد في القاف هو السبب ؟؟؟ ربما.

باقي التأثير في تفخيم المرقق هو صامت مفخم ؟ نعم ، هو كذلك ، مثل :

- الأصنام بتفخيم النون بسبب الصاد.

- العظماء بتفخيم الميم بسبب الظاء.

وهي أمثلة قليلة بشكل واضح ، ومن هنا يجب تحذير طلابنا من [1] تأثير القاف في تفخيم المرقق المجاور لهذا الصوت ، وكذا نقل هذي الملحوظة إلى برامج التدقيق اللغوية ، خاصة على المستوى الصوتي.

أما السبب في هذا الخطأ على الجانبين :

- ترقيق المفخم.

- تفخيم المرقق ، وهو الأخطر من سابقه في رأينا.

السبب في ذياك الخطأ وتيك الأخطاء على الجانبين هو العامية الفاشية على الألسن والبعد عن النطق القرآني الدقيق الذي يفرق بدقة فائقة بين الصوامت المرققة وبين الصوامت المفخمة ، ولا يسمح لأحدهما بالجور على الآخر إذا جاوره في كليمة واحدة ، أو في جميلة ، بل كل ذي حق أحق بحقه ، ولذا فإن حفظ القرآن بالذات مع النطق الصحيح ، أو غيره من النصوص الفصيحة ما يجابه هذي الأخطاء التي أشرنا إليها.

ومن ثم ننتصح بما أمر به قرآن ربي رسول الحق والصدق : (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [2] أي طريقة القراءة كما نقلها جبرائيل عن رب العزة ، كما نقلها سيد الخلق على صحابته - رضوان الله عليهم - وكما نقلها عن هؤلاء الصحابة التابعون التابعون وتابعوهم ، جيلا جيلا عن جيل إلى يوم الناس هذا.

---

(١) كما حذر علماء التجويد من تكرار الراء ، أي في قراءة القرآن الكريم.

(٢) ١٨ ، القيامة.

جـ - وأخيرا فإن هذي الأرقام التي ذكرت هنا هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بلغة المسلسل الذي ندرسه في هذا البحث ، إذا لو انقلنا إلى مسلسل آخر ، أو إلى بحث آخر فإنا لا نضمن أن تأتي النتائج كما جاءت هنا ، تماما بتمام ، وحذو القذة بالقذة ، لعلها تختلف مع دراستنا هذي ، نتفق قليلا أو كثيرا ، والعهدة على الدراسات القادمات - إن شاء الله - فالحبل دوما ودائما على الجرار.

ثالثا - تجاوز قوانين الصهر : في العربية خاصة وبشكل صريح صراح نظام للصهر ، صهر الكليمات في جمل ، إذ الكليمة المفردة لها نظامها في نطقها ، فإذا ما جاورت كليمات أخر داخل الجملة تغير هذا النطق ، كيف ؟ بالمثال يتضح ما نقول من مقال.

كَتَبَ فعل ماض / ماضي مبني على الفتحة ، هكذا ، الرسالة إن كانت مفردة نطقت هكذا - في الكتابة العروضية [1] - أرْرِسَالَة - أو (أرْ ر سَ الَ تُ) لكن الكلمتين لو ضمتهما جملة واحدة لكان النطق مختلفا بسبب الصهر ، النطق هكذا (كَ تَ بَ رْ ر س ا لَ ه) سقطت ألف الوصل في (الرسالة) والتقت فتحة البناء في الفعل بالراء في كلمة (الرسالة) وبشكل مباشر ، ثم انتهت الجملة بهاء ساكنة ، ليس بالتاء ، وبرغم أن (الرسالة) مفعول به منصوب بالفتحة ، إلا أن هذي الحركة الإعرابية تسقط عند الوقف ، هذا الوقف الذي يحجب الإعراب وكذا التنوين ، فهما - التنوين والإعراب - من سمات الوصل ، ليس الوقف.

---

(١) رغبنا عن الكتابة الصوتية الدولية إلى الكتابة العروضية لأسباب عملانية.

وفي هذا المسلسل خروق لا تحصى تخترق نظام الصهر في العربية ، وتوقف مصطنع مكروه بين كليمات الجميلات أو ربما داخل الكلمة نفسها ، فهذي الظاهرة أرصدها لأول مرة في نص منطوق ، وبهذي الصورة الصارخة ، وفي كل حلقات المسلسل ، وهذي أمثلة :

١ـ اللهمَّ ألهمني : نطقت في المسلسل هكذا : اللهمَّ + ألهمني ، بفتحة على كليمة (اللهمَّ) ثم توقف عبَّرنا عنه بهذي العلامة + ثم نطق الكليمة الثانية وحدها بعد فصلها عما قبلها.

٢ـ أهذا جزاء الإحسان : نطقت هكذا مقطعة الأوصال : (أهذا ـ جزاءُ ـ الإحسان) وهو خطأ صريح صراح.

٣ـ وهو يتطاول : جاءت : (وهو + يتطاول) بتوقف بين المبتدأ وخبره.

هذي هي المجموعة الأولى من الملاحظ ، وهذي هي المجموعة الثانية أسطر فيها ما في الجعبة من ملاحظ ، هنَّ :

<u>أولا</u> ـ تجاوز قانون الوقف : أشرت إليك ـ يا يرحمك الله ـ إلى أن الوقف في العربية يحجب الإعراب والتنوين ، كما يلي :

١ـ الوقف على المنون المنصوب بالتنوين ، وهو خطأ ، كما في مثل :

ـ يوسف ليس لصا : بتنوين آخر الجملة ، مع أن حقها أن يوقف عليها بألف المد هكذا : (ل ص ص ا) ليس هكذا : (لِ صٌ صَ ن) فهذا مخالف لقانون الوقف.

ـ كلمة أولا : وقف بالتنوين ، وهذا خطأ شائع ، إذ الصح أن تنطق هكذا (أ وْ وَ ل ا) بألف مد صريح صراح.

- وهل كان عليه أن يقول شينا : وقف على تنوين (شيئا) والصح أن تنطق : (شَ يْ أ ا) بألف مد صريحة.

٢- الوقف على التاء المربوطة بالتاء : ليس الهاء ، كما في الفصحى المعاصرة وهذا أمثلة :

- المرآتْ : وليس : (المرآه) [١] بالهاء.
- الحياتْ : وقف بالتاء ، ليس : (الهاء) هكذا : (الحياة [٢]).

فهذا الوقف بالتاء المفتوحة فاش في لبنان الشقيق.

٣- الوقف على الضمائر : بدون سكون الوقف ، بحركة قصيرة ، وربما بحركة طويلة ، خاصة كاف المخاطب بنوعيه ، المذكر والمؤنث ، فهذي الكاف مكسورة للمخاطب المؤنث ، هكذا (كتابك) ومفتوحة للمخاطب المذكر (كتابكَ) لكن الوقف عليها مكسورة أو مفتوحة لا يكون بغير السكون ، وهو ما خولف كثيرا كثيرا في المسلسل ، وهذا أمثلة مجرد أمثلة.

- لأكتم سركِ : وقف عليها بالكسر ، مع أن السكون حقها.
- سألحق بكَ : وقف على الجملة بفتح الكاف ، ليس السكون.
- سأصفح عنكِ : بكسر الكاف.

حدث هذا مع الكاف خاصة خاصة وكثيرا كثيرا ، ومع هذا حدث مع تاء الفاعل هي مضمومة للمتكلم ، مفتوحة للمخاطب المذكر مكسورة للمخاطبة المؤنثة :

(١ - ٢) كتبت الكلمتين بهاء ، دون نقطتين إشارة إلى النطق بالهاء ، ليس بتاء مربوطة.

- كتبتُ لك : التاء للمتكلم ، إذ هي مضمومة.
- كتبتِ لها : التاء مكسورة للمخاطبة.
- كتبتَ لي : التاء مفتوحة لأنها للمخاطب المذكر.

ولكنها عند الوقف تنطق بالسكون قولا واحدا ، سواء أكانت للمتكلم أو للمخاطب أو للمخاطبة وهو ما خولف في المسلسل ، خاصة مع المؤنثة :

- أفهمتِ : بكسر التاء عند الوقف.
- أنتِ : دون وقف عليها بالسكون.

بل قد يبالغ في مد الكسرة لتصبح ياء مد ، هكذا (أنتي) كما جاء على لسان أخناتون الذي قال لزليخا (أنتي المذنبة) بياء صريحة صريحة ، هكذا ، وهذا خطأ شائع فاش على الألسنة ، ويمكن أن تجده مع كاف المخاطبة ، مثل : (كتابكي - شرحكي) توهما أن الضمير هنا هو ياء المد ، ليس الكاف المكسورة ، وهذا ما يحدث في الوصل وفي الوقف كليهما.

<u>ثانيا</u> - الإسكان والتحريك : وردت في المسلسل ثلاث كليمات من هذا النوع الذي يجوز فيها الإسكان والتحريك :

- مصر.
- هرج.
- مرج

وردت الكليمة الأولى كثيرا كثيرا في المسلسل على ألسنة الشخصيات المختلفة ، وقد جاءت في نطقها في أكثر مواضعها متحركة الوسط كما في اللهجة

اللبنانية أي (مصر) بكسر الصاد ، وليس إسكانها (مصر) كما هو النطق الفصيح المعهود لدينا ـ نحن المصريين ـ على تصور أن هذا هو النطق الصحيح الفصيح.

وفي المسلسل جاء كلمة (مصر) ساكنة الوسط أحيانا ، وفي كلمتي (هرج ومرج) جاءت ساكنة الوسط ، دون تحريك للوسط (الراء) على اعتبار أن هذا النطق هو الصح ، أو هو الأصح.

وهذا ما يتصوره كثير من الناطقين ، والحق الحقيق هو أن كلا النطقين صح وصحيح فصيح ، وهذا ما وكده دستور اللغة العربية ، لا فرق بين إسكان الوسط وتحريكه ، وإذا كان بعض الناس يتصور أن الإسكان أفصح من التحريك فإنه لا بأس بأخذ بأيهما يراه الناطق مناسبا للسياق الذي تأتي فيه الكليمة.

العربية الفصيحة ليس لها تحفظ على أيهما ، اللهم إلا في توالي الضمتين في التحريك ، هنا العربية تكره توالي الضمتين في كلمة ، لا تحب توالي هذه الحركة الخلفية (الضمة) كما في مثل :

- (سُرُر) جمع (سرير).
- (ذلل) جمع (ذليل).

وفي كلا المثالين تجيز العربية تحول المثالين إلى ضم وفتح ، تحاشيا لتوالي الضمتين في الكليمتين لتصبحا ← ذُلَل ـ سُرَر ، حيث تتحول الضمتين إلى ضم وفتح.

وفي لهجة محافظة الشرقية يتحول الجمع (كُتُب) بضمتين ـ كما ترى ـ إلى (كُتَب) بفتح التاء مع ضم الكاف ، وهذي إحدى سمات اللهجة الشرقاوية التي تشي بصاحبها.

وفي كليمة (الرُشْد) بإسكان الوسط كان قياسها عند التحريك بضمتين هكذا هكذا (الرُشُد) ولكن العربية بعبقريتها رغبت عن هذا ، أو عن الضمتين إلى فتحتين (الرَّشَد) وأبقت الضمة الواحدة عند الإسكان (الرُشْد) وهكذا.

وفي سورة الجن جاءت كلمة (الرشد) في بداية السورة [1] بالإسكان ، في حين جاء (رشدا) ثلاث مرات بالتحريك بفتحتين مراعاة لفواصل الآيات في السورة كلها (٢٨ آية) جاءت كل هذه الفواصل بتحريك الوسط خاصة بالفتحة ، ولتناسب الوقف على المنون المنصوب بفتحة طويلة ، لاحظ الكليمات في فواصل السورة ، مثل :

- عجَبا.
- أحَدا.
- رشَدا.

وفي فاصلة واحدة فقط في الآية الخامسة جاء التحريك بالكسرة فقط في كلمة (كذبا).

وعليه فإنا نترك للقارئ والناطق أن ينطق الكلمة بالتحريك أو الإسكان أيهما كان عليه أسهل أو أيسر.

فشعب الملايو على سبيل المثال ينطق مثل هذي الكليمات محركة الوسط ، هكذا :

- صبُح ، بالتحريك لا بالإسكان.
- ظهُر ، بالتحريك لا بالإسكان.

---

(١) الآية الثانية.

- عصُر ، بالتحريك لا بالإسكان.

لا نحاول معه أن ينطق بالإسكان ، ليس التحريك ، على اعتبار أن المشهور أن هذي الكليمات ساكنة الوسط ، وهذا غير صحيح.

وإذا رجع القارئ إلى : (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر [1]) مثلا مثلا فإنه سوف يجد عشرات الكليمات تشبه ما سبق ، فيها قراءتان الإسكان أو التحريك، فالإسكان لهجة أهل تميم والتحريك لهجة أهل الحجاز ، قال صاحب الإتحاف : (قيل الأصل الضم وأسكن تخفيفا لرسلنا) أي مثل كلمة (رسُلنا).

ومعنى هذا أن الإسكان جاء تخفيفا أو جاء تخففا من الضمتين ، أو قل : فرارا من توالي الضمتين كما سبق.

وهذي أمثلة مما جاء في القرآن الكريم فقرئ مرة بالإسكان وأخرى بالتحريك :

- قدَرا / قدْرا.
- نكُرا / نكْرا.
- رغَبا / رغْبا.
- الدَرك / الدرْك.

وإن الواجب الاعتراف أن أكثر أسباب الإسكان هو الفرار من توالي الضمتين [2] أكثر من توالي الحركتين الأخريين ، الفتحة أو الكسرة ، وكان هذا بسبب ثقل الضمتين

---

(١) نشر بالقاهرة عام ١٣٥٩ هـ ، راجع ص ١٤٣ وقبلها.
(٢) السابق حيث جاءت عشرات الأمثلة لتوالي الضمتين على وجه الخصوص.

المتواليتين عن توالي الحركتين الأخريين.

ثالثا ـ النبـر : يأتي النبر في بعض اللغات على المقطع الأخير من الكلمة ، كما في الفرنسية والماليزية ولغة الهوسا في غرب القارة الإفريقية ، ولكن العربية لها نظامها الخاص في النبر على المستوى الفصيح إذا هو في الأغلب الأعم على الجزء الأول من الكلمة ، وليس الآخر.

وفي المسلسل وجدت ميلا نحو النبر على آخر الكلمة وهو واضح على لسان زليخا ولعل هذا تأثرا باللغة الفرنسية الفاشية في لبنان العزيز الغالي ، ومن الأمثلة على ما سبق :

- قول زليخا لوصيفتها : انصرفا ، بنبر على المقطع الأخير (فا) والصح في رأيي أن النبر على المقطع (صَ) في (انصرفا) وليس الأخير.
- تلاسنا على لسان بوتيفار ، بنبر على المقطع (نا).
- اذهبوا : على لسان أمنحتب موجها حديثه للكهنة عند عجز بوتيفار عن إثبات تهمة التحريض على قتله وأسرته.

ولعل النبر هنا محاولة لتوكيد الأمر ، أو لتوكيد الضمير في الأفعال السابقة : (انصرفا ـ تلاسنا ـ انصرفوا).

رابعا ـ ارتفاع الصوت وسرعته : تعبيرا عن الغضب الشديد والاحتداد والاندفاع ، وهو يقع في مجال علم اللغة النفسي ، أحد فروع علم اللغة التطبيقي ، وأذكر منه أو من هذا القبيل في المسلسل ثلاثة أمثلة :

- تقريع بوتيفار لقائد جيش آمون.

- توبيخ بوتيفار لزليخا زوجته.
- أوامر أخناتون إلى قائد جيشه للقضاء على آمون.

١- تقريع بوتيفار لباديامون قائد جيش آمون : هذا الأخير [1] يسير بعربته بسرعة شديد راعنة مباغتة حتى سقطت الأشياء من المارة وهنا ، اضطر بوتيفار إلى النزول من عربته وسد الطريق على قائد الجيش ومن معه ، ينزل الرجل معاتبا عزيز مصر ومتسائلا عن سبب إغلاق الطريق طالبا فتح الطريق.

وهنا ينزل بوتيفار من عربته ضاربا باديامون بصوته - أقصد بسوطه - ضربات شديدات موجعات ما جعله يخرج سيفه من غمده مبارزا بوتيفار الذي غلبه وقهره ، فاكتفى بضربه بعرض سيفه على رقبته بشكل مهين ، ولم يكتف بهذا بل سدد له لكمة شديدة في وجهه ألقته على ظهره ، وفي خلال هذا العراك والمبارزة دار بين المبارزَيْن الحوار التالي :

- بوتيفار : إن أثرتم الشغب والمتاعب داخل المدينة مرة أخرى ، فسيعاتبكم سيفي بدل لساني ، هذي آخر كلمة ... وإياكم أن تعودوا .
- باديامون : معبد آمون لن يمرر هذه الإهانة من دون رد.
- بوتيفار : لأخنخما هو عني أن عليه أن يكبح جماح عسكر آمون ويروضهم ، وإلا فسوف تنالهم مني شدة عظمى.

وواضح في كلام بوتيفار الانفعال الشديد ، فسرده لكلامه كان سريعا ومرتفع الصوت ، وهذا دليل الغضب وشدة الانفعال.

---

(١) في الحلقة ١٣.

٢ـ توبيخ بوتيفار لزوجته : وقد تم هذا في أكثر من موقف ، نختار أحدها فقط :

في الحلقة ١٧ عندما احتفلت زليخا فدعت نساء المدينة وقالت ليوسف : اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن كما جاء في الآية ٣١ ـ رأت أن ما حدث للنسوة دليل على أنها معذورة فيما فعلت مع يوسف ، وهنا احتد عليها زوجها احتدادا ، سرعة شديدة في الكلام وارتفاع واضح في الصوت قائلا لها : بعد صفعها على وجهها بكل قوته : كأنك تريدين أن تقولي : معذورة في مراودة يوسف عن نفسه لأن نسوة مصر الجامحات حين رأين يوزرسيف قطعن أيديهم ، لا يجوز ذلك أن تبرري فعلك بردة نساء مصر اللاهيات ...

بل رد زليخا على قول النسوة عندما رأين يوسف : (مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) [1] هذه كلها ترهات إنه بشر ، مثلما نحن بشر ، لكني أسألكن الآن ألا يستحق مثل هذا الفتى الملائكي أن أتحمل فيه وزر التهمة ، هل تراكن تلمنني الآن وتنعتني بالضلال [2].

والشيء بالشيء يذكر فلا يعاب ألبتة ولا ينكر فقد كنت أبحث في موضوع سابق ، فذكرت حديث المصطفى الذي روته السيدة عائشة في صحيح مسلم [3] عندما قام محمد بهدوء من نومه منفذا ما أمره جبرائيل بزيارة مقبرة البقيع ، وتصورت أم المؤمنين أن زوجها ذهب في ليلتها إلى أحدى ضرائرها ، فقامت واتبعت المصطفى حتى جاء البقيع فدعا لأصحابه في البقيع ، وعندما عرفت الحقيقة أسرعت إلى

(١) ٣١ ، يوسف.
(٢) تابع الحوار في الحلقة ١٧.
(٣) باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

فراشها وقد رأى محمد سوادها ، وعندما رآها في نومها يبدو عليها الإرهاق الشديد ، صدرها يعلو ويهبط ، ويبدو أن أنفاسها كانت بادية الصوت بشكل ظاهر ، عندها قال سيد الخلق : (مالك يا عائش !! حَشْيا رابية ؟. أي : مالك !! وقع عليك الحَشْى ؟ ، وهو الأثر الذي يحدثه المسرع في مشيه ، ورابية التي أصيبت بمرض الربو.

وكان على أن أرجع إلى بعض معاجم العربية فرجعت إلى المعجم [1] الكبير فوجدت : الحشى ربو أو شبه ربو يحصل للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره.

أي أن المحتد في كلامه المنفعل تتميز أنفاسه بارتفاع صوت هذي الأنفاس وتواترها وسرعتها وهذا ما وجدنا في المسلسل في مواقف الحدة :

- سرعة سرد الكلام.
- ارتفاع الصوت.
- ارتفاع صوت الأنفاس.
- سرعة هذه الأنفاس وتواترها.

ومن هذي المواقف التي احتدت فيها شخصيات من المسلسل اخترنا منها فقط ثلاثة مواقف ، أشرنا إلى اثنين ، وبقي ثالث نسرده فيما يلي :

٣- أوامر أخناتون إلى قائد جيشه للقضاء على آمون :

- هورن هب : اسمع جيدا ، أوامري لك أن تقوم بإنزال معبد آمون ، اقض على تمثال آمون ، وأخرج الكهنة من المعبد ، وأغلق بابه ...

---

(١) مادة : (ح ش ى) .

هكذا كان إخناتون محتدا في أوامره إلى قائد جيشه.

وفي شريط الذكريات ذكريان أذكرهما للقارئ ، هما :

١ـ عندما كنت في أكرانيا عامي ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩ ، لم أك أعرف شيئا من الروسية التي كانت فاشية في أكرانيا ـ آنذاك ـ فكنت أستعين بصديق من العرب يجيد الروسية ، كنت أراقب الحوار بالروسية بين الفتى العربي وبين المتحدث بالروسية أو المتحدثة بالروسية ، فإذا علا صوت الموظف ـ أو الموظفة ـ وتسارع الكلام عرفت أن المتحدث بالروسية واجد غاضب وغير موافق ، وهكذا لاحظت هذا في عدة مواقف.

٢ـ زعيم صرب البوسنة ذائع الصيت (ردوفان كازاجيتش) عندما فاحت رائحة المجازر التي ارتكبها ضد مسلمي البوسنة ، قام تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية بتقديم برنامج وثائقي بعنوان : (يوغسلافيا : موت دولة) ـ عام ١٩٩٦ فيما أذكر ـ وقدم البرنامج في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية ـ الإعلامي هاني العربي مقدم هذا البرنامج كان يجاحش عن زعيم صرب البوسنة (رادوفان) محملا مسئولية هذي الحرب الضروس والمذابح ضد مسلمي على المسكين علي عزت بيجوفيتش ، والذي قاد الدفاع عن شعب البوسنة المسلم طيلة سنوات الحرب ١٩٩٢ ـ ١٩٩٥ حتى قبل اتفاق دايتون في أمريكا الذي سماه بالدواء المر.

بدأت نذر هذي الحرب الضروس في عام ١٩٩١ ، ويصور البرنامج جلسة في برلمان البوسنة في (سراييفو) ١٩٩١/١٠/١٥ حيث أعلم علي عزت رغبة المسلمين في استقلال البوسنة عن يوغسلافيا ، وهنا رد عليه ردوفان قائلا بلغته

التي لا أعرفها ، وربما كانت البوسنية ـ ما ترجمته ؟ إنني أحذرك ـ يقصد علي عزت ـ إنكم جميعا تجرون البوسنة إلى الجحيم ، وأنتم ـ أيها المسلمون ـ لستم على استعداد للحرب ، إنكم يمكن أن تواجهوا القضاء عليكم بالكامل.

هكذا قال مجرم الحرب العجوز في ذياك البرنامج الذي سجلته من القسم العربي ، ثم كتبت النص بعد ذلك ، وقد بدا روفان محتدا في كلامه سريعا مرتفع رادوفان الصوت متواتر الأنفاس سريعا كأنما كلامه طلقات رشاش سريع الطلقات.

ومما وصف به هذا الرادوفان في البرنامج أن كان بهي الطلعة ، وآخر ذكريات هذا المجرم عندما كان يحاكم منذ أيام في المحكمة الدولية جرائم الحرب [1] في لاهاي ، وقد تأكل جزء كبير من بهاء طلعته وبدا عليه الهرم [2] والشيخوخة.

خامسا ـ اللغة غير اللفظية : قرأت أن اللغة اللفظية في التواصل بين البشر تقل إلى ٨% من مساحة ذياك التواصل فقط فقط ، والباقي للغة غير اللفظية ، وسواء اتفقنا مع ما سبق أو معه اختلفنا فإن اللغة غير اللفظية لها دور مهم في التواصل ، إن لم يك لها القدح المعلى في المسألة.

وبما أن المسلسل سجل بالصوت وبالصورة فلابد من مشاهدة شيء من اللغة غير اللفظية ، نعطي أمثلة لها من المسلسل ، مثل :

١ـ عندما أعلن إخناتون الحرب على جيش آمون ووصلت القوات المصرية إلى معبد الإله آمون أشار القائد هورن هب إلى الجنود الذين يحملون جذع شجرة

---

(١) أسست ١٩٩٣م ، وردوفان هو اسم من أصل عربي هو (رضوان).
(٢) جرت هذي المحاكمة في مايو الماضي أو يونية ، هذا العام ٢٠١٨م.

طويلا ضخما يحمله عدد كبير من الجند لفتح باب المعبد الضخم الذي تحصن من ورائه جيش المعبد ، حيث يشير القائد بيده بتوجيه الجذع الطويل نحو الباب لفتحه كسرا عنوة حتى يخرج المحتمون خلفه ، وهو ما كان [١].

في حين كان باديامون قائد جيوش المعبد على سطح ذياك المعبد مستعدا بجنوده المدججين بدلاء الزيت المغلي المعد لإلقائه على جنود هورن هب المندفعين نحو باب المعبد بمجرد إشارة القائد لجنده وهو يشير بضرب ذراعه الهواء - إلى الأسفل ، أفرغ الجنود زيتهم على جنود هورن هب محاولين منعهم من الاقتراب من باب المعبد.

هذي الإشارة رأيتها في الحرب كثيرا خاصة في الأفلام والأعمال الدرامية حيث يشير القائد بهذي الطريقة إلى جنده لبدء الهجوم على الأعداء .

هورن هب قد أعد لهؤلاء الجنود الذين ألقوا الزيت المغلي على جنوده رماته المهرة الذين أمروا بإطلاق السهام على رماة الزيت ما إن يقوموا ويظهروا ، وهكذا قتلوا جميعا ما اضطر باديامون وباقي الجند للنزول من السطح والخروج من البوابة الضخمة التي انفتحت ، ثم تبارز القائدان هورن هب وباديامون ، ليُحسم الصراع لصالح الجيش المصري ، ثم استسلم باقي جند المعبد بعد مصرع القيادة.

٢- وهذا نموذج ثان للغة غير اللفظية ، حيث تجادل حارسان [١] من الحراس في قصر عزيز مصر (بوتيفار) كل واحد يتهم زميله بالسرقة ، وهنا تدخل يوسف

---

(١) حلقة ٣٦.

وكان جديدا في القصر وما يزال طفلا فعرض على المسئولين في القصر أن يكشف لهم السرقة ومن السارق من البريء ؟ وهنا أشفق على يوسف من حضر الواقعة ، ولكن الطفل نجح في مهمته ، واعترف السارق بسرقته ، ثم التقى مع يوسف في السجن وحاول الانتقام منه ، وعندما خرج من السجن حاول اغتيال يوسف بعد أن صار عزيز مصر بتحريض من الكهنة إلا أن المساعد القوي مالك بن زاعر الذي اشتراه من إخوته بثمن بخس دراهم معدودة ، ثم باعه لبوتيفار عزيز تمكن من مبارزته وقتله.

ولازلت أذكر يوم أن أوقع به الطفل يوسف وجعله يعترف بأنه السارق ، وعندها قام (ننيفر) بتهديد يوسف الذي كشفه ، لا باللغة اللفظية المعهودة ، ولكن بلغة غير لفظية ، كيف بالله عليك ؟!.

عندما أخذ الحراس السارق وعرف أن يوسف الطفل هو الذي كشفه وأوقع به بتلك الحيلة التي تعلمها من أبيه (يعقوب) الذي كان أمهر الناس في القضاء بين الناس.

هذا السارق المهزوم هدد كاشفه بطريقة غير لفظية بتقطيب فمه وهز رأسه مرارا إشارة إلى نية الانتقام من يوسف ، وهذا ما حاوله السارق مذ كان في السجن ، ثم بعد خروجه حتى قتل على يد مالك بن ذاعر بن عم يوسف ، يوسف من نسل إسماعيل الذبيح ، ابن إبراهيم ، في حين جاء يوسف من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبي الأنبياء ، عليهم من الله الصلوات الطيبات.

---

(١) حلقة ١١.

٣- وعند حكم على طباخ الملك (أبوبيس) بالصلب [١] والإعدام ، وبعد تلاوة الحكم الذي صدر بحقه أشار بوتيفار برأسه مخفضا إياها ، وهنا إجابة هورن هوب بخفض رأسه أيضا ، ومعناه أن حاضر جاهز لتنفيذ الحكم ، ورد الأخير بإشارة من يده من اليسار على اليمين طالبا بهذي الإشارة أن يقوم الضابط المختص بقطع في قدمي المتهم بسكين في يده ، لينزل الدم من القدمين حتى يموت الرجل المعلق في الهواء صبرا.

٤- وعندما أعيت الحيل سحرة معبد [٢] آمون ، وما استطاعوا تفسير رؤيا الملك ، وما عرفوا غير كلمة واحدة ، هي أن البقرة في المنام تعني السنة - بفتح السين - عقب أخناتون : (سنة ، تمخض الجبل عن فأرة ، والنيل عن بعوضة) ولكن الحاضرين في الحفل الكبير الذي أقامه الملك تجاوبوا بالضحك مع ملكهم ، ومنهم وصيفة السيدة (تي) والدة الملك ، ولكن السيدة بمجرد النظر ناحية الوصيفة ، انخرست الوصيفة تماما ، تماما.

وعندما صفق الملك لتفسير الرسول يوسف - عليه الصلاة والسلام - انتقلت عدوى التصفيق إلى الحضور ، ومنهم وصيفة السيد (تي) التي توقفت بمجرد نظر السيدة ناحية وصيفتها.

ألخماهو نفسه كبير كهنة آمون الذي كان حاضرا مع حاشيته عندما قال أحد سحرته الذين تصدروا لتفسير منام الملك ، وصفق مع المصفقين إعجابا بتفسير يوسف ، لكنه توقف تماما تماما ، وقطع تصفيقه بمجرد أن نظر ناحيته ألخماهو.

---

(١) حلقة ٢٣.
(٢) حلقة ٢٦.

المعبر المسكين ما اكتفى بهذا ، بل أعلن إعجابه بتفسير سيدنا يوسف معقبا : (هذا تعبير صحيح ودقيق ، أنا أجل وأحترم يوزرسيف ـ يوسف ـ الشا...) أي الشاب ، وبمجرد نظرة من ألخماهو ذابت في فيه الكلمات ، وتوقفت في حلق المعبر ، وبمجرد انتهاء الحفل هجم ألخماهو على المعبر المسكين ضربا على رأس المسكين ، ثم سلم إلى (باديامون) قائد جيش المعبد ، وفي اليوم التالي عثر الصيادون على المعبر غريقا في النيل ، لقد قتل وألقي في النيل بأمر من كبير الكهنة الذي لم يشف غليله علقة ساخنة بالعصا على أم رأس المعبر عقوبة له على تأييد رأي يوسف في تفسير المنام ، والذي كان ـ في نظر الكهنة ـ العدو الأول للإله آمون.

وهكذا كانت اللغة غير اللفظية فاشية في المسلسل ، وما قدمته هو مجرد أمثلة فقط فقط ، وفي المسلسل كثير من مفردات اللغة غير اللفظية ، خاصة عند الأمراء والعظماء والقادة ، كما سبق ، فهذي اللغة سمة من سمات هؤلاء الأقوام ، ومن لفّ لفهم ، أو بهم اقتدى.

والآن انتهينا من المجموعة الثانية من الملاحظ اللغوية ، أو الحلقة الثانية من هاتيك الملاحظ ، ونأتي الآن إلى الحلقة الثالثة ، كما يلي :

<u>أولا ـ النصب على الاختصاص</u> : يتوهم بعض الناطقين أن تعبير ـ أو جملة الاختصاص ـ هي جملة من مبتدأ أو خبر ، فإذا قلنا :

نحن العرب ـ أكرم الناس أخلاقا

فإن كليمة (نحن) : (هي بالتوكيد مبتدأ) ثم ، ثم ماذا ؟ يتوهم بعض الناس أن كلمة : (العرب) هي الخبر ، وهذا خطأ صريح صراح ، لأن (العرب) هنا منصوبة

على الاختصاص ، تقدير الكلام نحن ـ أخص العرب ـ أو أقصد العرب ، نحن أكرم الناس أخلاقا.

وهذا خطأ شائع ، خاصة إذا كان المنصوب على الاختصاص منصوبا بالحركات الطوال ـ الحروف ـ مثل المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة ... الخ.

وقد رصدت في المسلسل أخطاء من هذا النوع ، مثل :

نحن ـ المعبرون ـ ...

نحن ـ الاثنان ـ ...

والصح : (نحن ـ المعبرين ـ ... نحن الاثنين ـ ...) بنصب للكلمتين بالياء ، فلا رفع لهما ، لا حق لهما في الرفع ألبتة ، وفي ذات الوقت يجب وضع الاسم المنصوب على الاختصاص بين شرطتين ، كما ترى ، إذ غيابهما خطأ في الكتابة ، حيث إن الشرطتين ربما تذكر القاري بحق ما بين الشرطتين في النصب ، وبراءته من الرفع ، فهذا ليس من حقه البتة البتة.

<u>ثانيا ـ الإعراب على الياء والواو</u> : اللينتين يظهر ، ولا يظهر البتة مع ألف المد ، أو قل بشكل أدق تظهر الفتحة على الصوتين اللينين ، ولا تظهر الصحة ، تقول :

- هو يدعو الله. (في حالة الرفع تقدر الضمة).
- هو لن يدعوَ غيره ، تظهر الفتحة على الواو.
- هو يَدعي ويدّعي ، ضمة الرفع مقدرة.
- هو لن يدَّعيَ غير الحق ، فتحة النصب ظاهرة على الياء.

في دستور اللغة العربية قلت : الواو والمدية وياء المد لم تتحولا إلى صوتين لينين ، بل عادتا إلى أصلهما ، وهو اللين كما نقول في المثنى مثلا :

- النادي ← الناديان.
- المدعي ← المدعيان.

وكما نقول في الإسناد لألف الاثنين :

- يرجو ← يرجوان
- يبني ← يبنيان

وفي المسلسل جاء المنقوص منصوبا دون ظهور فتحة النصب ، ففي جملة النداء (... عالي المقام) التي وردت كثيرا في المسلسل جاءت مرة بنصب المنادى المضاف ، أي : (عاليَ المقام) بفتح الياء اللينة ، ومرة جاءت بياء مدية قصرت بسبب سكون لام التعريف بعدها.

ومن اللفتات الطيبة في المسلسل أن ياء المنقوص جاءت موقوفا عليها ليس بفتحة النصب ، بل بياء مدية ، جاءت عبارة أخيه لاوي المقترح إلقاء يوسف في الجب بدل القتل : (بلغت النفوس التراقي) حيث لا يجيز قانون الوقف ؛ الوقف على الفتحة القصيرة ، إنما الوقف في القرآن وفي النثر على الحركة الطويلة - ليس القصيرة - أو على الصامت الساكن فقط ، هذا يجوز في الشعر فقط ، ليس النثر.

<u>ثالثا - التاء المكسورة</u> : تحولت إلى تاء شبه مركبة ، وقد فشا هذا النطق في فترة سابقة كثيرا كثيرا على ألسنة القاهريات ، وقد لوحظ في ذياك المسلسل كثيرا على لسان وصيفات زليخا سيما في كليمة (سيدتي) بتاء ليست انفجارية خالصة ، بل مركبة ، أي

من انفجار واحتكاك يتبعه ، ذياك الوضع يشبه ما عليه الجيم القرآنية المركبة التي تنطق في الأقطار العربية ، وفي الريف المصري والصعيد ، وبعض المدن المصرية.

كما لاحظت بعض أنماط نطق غريب ، ما عهدته قبلا ، مثل :

١- في عبارة : (أسمع بكاءه) أحس أن من نطقت العبارة وقفت أو (ركنت) على الكاف كأنها مضاعفة أو (مضعفة) إذ كأن الناطقة تطيل المرحلة الأولى من الصوت الانفجاري الكاف ، وهو غلق المخرج لمجرى الهواء تماما تماما ، فصارت هذي الكاف كأنها مضعفة (مشددة).

٢- حرف الجر الباء : مع هاء الضمير (به) سمعتها مرتين في المسلسل بكسرة الباء ممالة أو : (نصف ضيقة) وحقها حقها الصريح الصراح أن تكون ضيقة ، قريبة من الحركة المعيارية الأولى [i] أي هي ضيقة أمامية تنفرج معها الشفتان ، لكن هذي الحريكة نطقت - في سمعي - ممالة ، أي قريبة من الحركة المعيارية الثانية [e] وهي نصف ضيقة أمامية أيضا ، وتنفرج معها الشفتان وإن كان هذا الانفراج أقل منه في الحركة المعيارية الأولى ، نصف ضيقة هنا هي الكسرة العربية في الفصحى ، إلا أنها جاءت ممالة (نصف ضيقة) وليست ضيقة ، نطق ما سمعته في الفصحى التي أسمعها.

هل لأن الإمالة فاشية في اللهجة اللبنانية خاصة قبل هاء التأنيث ذي مثل (مية - نسبية) هل ؟ ربما وربما.

٣- جاءت أخطاء صريحة ، منها :

أ - في عبارة : (نفذ القمح) أو قل : (نفز القمح) بالزاي ، لا بالذال ، وكلا النطقين خطأ شائع واهم ، إذ الصح : (نفد / ينفد) بالدال المهملة ، غير المعجمة

البتة ، قال تعالى :

- (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي..) [١].
- (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [٢].
- (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ...) [٣].
- (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ) [٤].

ولا أدري كيف وقع هذا الخطأ ، أو هذا الوهم الواهم والتوهم التائه.

ب ـ جاءت عبارة : (لماذا تَشْقَيْن على نفسك !؟) موجهة للسيدة (زليخا) والتعبير خاطئ تماما ، إذ الصح الحق هنا : (لماذا تَشُقِّين على نفسك) بتضعيف القاف ، ليس بفتحها.

جـ ـ ورد في المسلسل : (أمّا آن ...) بتشديد الميم ، والصح بتخفيف الميم مفتوحة ، وغير مشددة أو مضاعفة (مضعفة) هكذا يجب أن تكون الميم.

د ـ في استشهاد يوسف في الحلقة الأخيرة بالآية : (قَالُوا أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [٥].

وكان الخطأ نطق الفعل (يضيّع) بتشديد الياء اللينة المكسورة ، وهو خطأ واضح ، صريح صراح ، إذ الياء مدية خالصة من الفعل الأجوف (أضاع) مثل :

(١) ١٠٩ ، الكهف.
(٢) ٢٧ ، لقمان.
(٣) ٩٦ ، النحل.
(٤) ٥٤ ، ص.
(٥) ٩٠ ، يوسف.

(أقام يقيم) بياء مد ، وليس ياء لينة مشددة ، ويبدو هذا الخطأ تأثرا بالنطق العامي : (ضيَع يضيَع) بتشديد الياء اللينة.

٤- وأخيرا فإن بعض المعربين ، أو (المدبلجين) الذين قاموا بتعريب الحوار من الفارسية إلى العربية كانت عربيتهم جيدة ، من عربوا شخصيات :

- ألخماهو ، كبير الكهنة.
- لاوي ، شقيق يوزارسيف.
- رسول الوحي.
- بوتيفار ، عزيز مصر.

كما وردت تعبيرات جيدة على ألسنة شخصيات المسلسل ، مثل ؟ مثل :

- هونيفر ، مباشر القصر ، وليس مدير القصر أو مشرف القصر.
- رعاية الأباعر ، أو رعي الأباعر - جمع بعير - وليس الجمال.
- العرش السيّار : بدل المحمل ، حيث يحمل على أعناق العبيد ، ويُجلس عليه ، كما كانت زليخا تجلس ، وكذا ألخماهو ، وغيرهما .
- يهرقون الحنطة : كما فعل الكهنة عندما أهرقوا الحنطة الفاسدة ، بدل تعبير (يكبون الحنطة) أو يلقون ...
- وأخيرا استخدام كلمة (العسس) بدل الشرطة ، أو : الشُرَط.
- عندما جاء أبناء يعقوب بالحنطة من أخيهم عزيز مصر جيء إلى الأب بعينه من هذي الحنطة وضعت في يده ، فقال بعد شمها : (ما اذكى هذه الرائحة ، كأنما أفلتت من عقال !!) ثم أردف : (تفوح منها رائحة الحياة ، رائحة هذه الحنطة ليست غريبة ، لقد أعادت الحياة لأهل كنعان قاطبة) بل جعل يشم هذه الحنطة عدة مرات ، ولعلها ذكرته بابنه يوسف.

- في الحلقة قبل الأخيرة عندما علم الإخوة أن من ألقوه في البئر أصبح عزيز مصر ، هنالك انفجر لاوي في مشهد هو الأقوى في المسلسل قائلا لأخيه : (ألا طبول الفضيحة قد قرعت ...) وفي قمة انفعاله وصدمته لاكتشاف أن أخاهم هو عزيز مصر ، صاح أمام أخيه ، فكان مما قاله :

(... مر الجلادين فليفصلوا رأسي ، مرهم بأن يجلدوني بالسوط كي أكفر عن ذنوبي فيخرج الوحش الكاسر من كياني ، هذا الحياء يقتلني ، هذا الحياء يقتلني [1]).

وفي النهاية نعتذر للقارئ ، فهذا الجزء من الدراسة حول مسلسل (يوسف الصديق) الذي يخص الملاحظ اللغوية على ذياك المسلسل إنما روجع في غمرة متابعتي لوسائل الإعلام المختلفة التي غطت ذياك الحادث المريع الفظيع ، وهو إعلان (ترامب) الانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران الذي ابرم عام ٢٠١٥م في عهد الرئيس الأمريكي السابق (أوباما) عام ٢٠١٥م ، هذا الانسحاب (الترمبي السونامي) المزلزل جاء الثلاثاء ٨ ما يو ٢٠١٨م.

(١) شاهد الحلقة ٤١.

الدراســة الأدبيــة



أصل الحكاية في قصة يوسف الصديق

أصل الحكاية في القصة ، أو أولياتها التي منها هنا نبدأ هي قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ) [1].

فمن ترى يا ترى هؤلاء السائلون ؟ إنهم هؤلاء الصحب الكرام الذين سألوا نبيهم ـ صل الله عليه وآله ـ بعد أن ملوا ملة ، أو ملوا مرة ، فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا ، فأنزل الله : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) الآية ٢٣ الزمر.

لكن الصحب الكرام عادوا مرة أخرى فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا فوق الحديث ، ودون القرآن ، يعنون (القصص) فأنزل [2] الله : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) [3] وجاءت سورة يوسف أو قصة يوسف الصديق في هذي السورة.

وأرى أن قوله إن هؤلاء السائلين كانوا هؤلاء الصحب الكرام الذين سألوا نبيهم أن يقص عليهم شيئا من القص والقصص فجاءت هذي السورة حول هذا لنبي الكريم ، إن القرآن خاطب هؤلاء السائلين : بأن هذي القصة أو هذا القص ، هذا الحكي ، هذي الحكاية وراءها عبر وعبر ، آيات وآيات ، هي في رأيي :

---

(١) يوسف آية ٧.
(٢) راجع ص ١٠ من هذا البحث.
(٣) الآية ٣.

١- سوء الفهم الذي ابتلي به نبي الله يعقوب - عليه الصلوات والسلامات - الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

٢- ضلال الأبناء والتوهان الذي تورطوا فيه ، فكان تصورهم إذ قالوا لأنفسهم وأيقنوا :

أ - (إذ قالوا ليُوسُفُ وَأخُوهُ أحَبُّ إلى أبينا مِنَّا ونَحْنُ عُصْبَةٌ) [١].

ب - وصلوا إلى نتيجة مدمرة خاطئة : (إنَّ أبَانَا لفِي ضَلالٍ مُبين) [٢] نبي الله يعقوب سليل الأنبياء :

- ليس على صواب.
- هو على خطأ.
- بل هو في ضلال.

أما النتيجة التي توصلوا إليها فكانت مدمرة :

- اقتلوا يوسف.
- أو اطرحوه أرضا.
- يخلُ لكم وجه أبيكم.
- وتكونوا من بعده قوما صالحين.

أجمعوا أمرهم على قتل أخيهم الطفل ، الذي سيصبح نبيا بعد أبيه ، وهكذا فتح بنو إسرائيل ، أو أبناء يعقوب على أنفسهم باب قتل الأنبياء من عقبهم ونسلهم حتى آخر نبي منهم ، هو عيسى ابن مريم ، ولولا أن الله رفعه إليه لقتلوه ، وإن كانوا قتلوا شبيهه.

(١ - ٢) الآية ٨.

ولكن أخاه (لاوي) حال دون هذا القتل ، واقترح إلقاءه في الجب ، هذا البئر العميق جدا شديد العمق ، بحيث لا يستطيع من يلقي فيه أن يخرج منه ، أو منه يتخلص ويهرب ، وهكذا كان.

وكان القصد من هذا أن يخلو لهم وجه أبيهم ، ويخلص لهم حبه وعنايته ، ثم : (وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ) كيف ومن أين يأتي الصلاح بعد هذي العَمْلَة الرهيبة ؟ إنها التوبة ، وهذا ما لم يتحقق.

وكانت القافلة التي يقودها مالك بن ذاعر في طريقها إلى حتى هبت عاصفة رهيبة أضاعت الطريق عن القافلة ، وعندما هدأت الريح والعاصفة وجد أعضاء هذي القافلة عطشا شديدا ، لا بأس ، هذا شيء اعتيادي يمكن أن يجابه القوافل.

إلا أن اللافت للنظر أن الدواب رفضت التحرك من المكان والتزحزح عنه بتة بتة ، وعندها اهتدت إلى البئر القافلة ، إلا أن المعلومات عن هذا البير أن ماءه مالحة لا يروي العطش ، بل يزيد شاربه عطشا على عطش على عطش.

وبما أن الدواب تترست وتمترست في المكان ، ومن ثم ذهبت القافلة لأخذ الماء من البير ، وللمفاجأة الكبرى وجد أن الماء عذب عذب شديد الحلاوة ، عاطلا عن أية ملوحة.

ليس هذا فقط ، بل إن القافلة عثرت على كنز ثمين لا يقدر بمال ، طفل بارع الروعة ، شديد الحسن والجمال ، يوسف الصديق ، وبعد جدل عنيد باعه إخوته بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين.

وانتظر الإخوة حتى دخل الليل حتى لا يظهر الكذب والادعاء في وجوههم ، وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، ماذا يقولون لأبيهم ، رتبوا أن يقولوا لأبيهم : (... إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) وإمعانا في خداع الأب والأسرة لطخوا قميص يوسف بدم كذب مدعي تمويها وخداعا.

إذن كانت العقدة الرئيسة في القصة غياب الصبي يوسف وادعاء إخوته بأن الذئب قد أكله أكلا ، فكيف ظهرت الحقيقة كاملة كاملا لما فعله أبناء يعقوب ، لقد ظهرت الحقيقة وانجلت (بالحاء المهملة أو الجيم المعجمة) العقدة رويدا رويدا ، وبعد عشرات السنوات ، وهذا ما سوف نسرده فيما يلي :

<u>أولا : سلامة القميص</u> : من عجب أن القميص الذي جيء به ملطخا بدم كذب لم يمس ، فما هذا الذيب المهذب الرقيق الرفيق الذي أكل هذا الإنسان دون أن يمس القميص بشيء من أنيابه البرينة.

بدت الانفراجة الأولى الأولية نحو الحقيقة التي أخفاها هؤلاء الإخوة في سلامة ذياك القميص وإن كان ملطخا بالدماء ، ومن ناحية أخرى فهل أكل الذئب أو : (ذئب واحد) أو حتى عدد من الذياب جسد يوسف كله كله حتى العظام قرقشوها قرقشة ولم يبق لها بقية ، أية بقية مهما دقت وصغرت ، حتى المكان الذي أكل فيه يوسف ، أين هوه ؟ لا شيء من هذا.

<u>ثانيا</u> : إن نبي الله يعقوب ، ذياك الأب المكلوم لم يصدق كلام أبنائه الباكين النائحين زورا أو ادعاء وبهتانا ، لذا استجاب لأهل كنعان الذين خرجوا إلى البادية المجاورة وغير البعيدة عن مضاربهم ، ومعهم المشاعل بحثا عن فلذة كبد نبيهم

يعقوب فلم يجدوا يوسف على دقة بحثهم واهتمامهم ، بل لم يعثروا على أثر ، أي أثر للطفل الغائب ، الذي ادعى إخوته أن الذيب قد أكله.

وفي عرف الناس في الحروب والمصائب أن من مات لابد من دليل أكيد على موته ، مثل العثور على جثته ، أو شهادة أكيدة من شاهد أو شهود شهدوه قد مات ، أو دفنوه بأيديهم ، فإن يعقوب النبي ما صدق ما ادعاه أبناؤه.

ثالثا : سؤال الإخوة : أصبح يعقوب على يقين بأن الذئب بريء من دم ابن يعقوب ، وأنه ما مات وما قتل ، وهو على قيد الحياة ، ولذا يضرع إلى الله أن يعيد إليه يوسف ، فرأى أن تسأل الأم أبناءها عن حقيقة ما جرى مع أخيهم ، فطلب من زوجته :

- أعيدي الكرة واسألي أولادي من جديد عما صنعوه بأخيهم فعسى أن يثوبوا إلى رشدهم هذه المرة ويفصحوا عما جرى.
- وكيف لك أن تكون واثقا أن يوسف حي.
- أولا : قميص يوسف الذي لم تمزقه أنياب الذئب ، وثانيا : قلب سليم خصني به الله.
- لا بأس ، فأفاتحهم بالأمر ، ولكني فاقدة الأمل.

ورأى يعقوب أنهم يمكن أن يعترفوا بذنبهم فيتوبوا إلى الله قبل فوات الأوان ، وتذهب إلى الأبناء أمُّهم ليعلنوا مرة أخرى :

- لم نر ذلك بأم العين ، ونحن واثقون أن الذئب قد فتك بيوسف ، قلنا ذلك مرارا.

- أنتم كاذبون ولو كررتم هذه الكلمات ، ليتكم لازلتم صغارا ، فأجلدكم بالسياط فتسود جلودكم ، إذا كان الذئب قد فتك بيوسف فلماذا لم يمزق قميصه.
- لا علم لنا بذلك ، لقد صار الأمر لغزا ، وقد أعيتنا الحيلة في تفسيره.
- ألعنكم فردا فردا ، يا لكم من كاذبين ، الذئب لم يفتك بيوسف ، بل ذئاب الأنس فعلت ذلك ، ذئاب الإنس فعلت ذلك.

وعندما علم الأب المكلوم بتكرار أبنائه باتهام الذئب عقب قائلا : (أعلم أنهم كرروا قولهم : إن الذئب أكل أخانا ، اسأل الله أن يثوبوا إلى رشدهم قبل فوات الأوان).

وهكذا راجعت أبناءها وكررت عليهم بأن ادعاءهم بأن الذئب فتك بأخيهم كذب ، فكان من ثُمر هذا الحوار معهم اعترافهم الصريح بأنهم لم يرو الذيب يأكل أخاهم ، وهكذا تأكد القول بكذب الإخوة في ادعاءاتهم ، ومن ثم تأكد للأسرة ـ خاصة الأب ـ بأن يوسف على قيد الحياة.

رابعا ـ لأنه ما صدق ادعاء هؤلاء المدعين المزورين ، فقد أخذ معه ابنه الأصغر من يوسف (بنيامين) وذهب إلى البادية كي يسأل ذئاب كنعان : (هل أكلتم يوسف) ولكن الذئاب أنكرت هذا تماما ، بل هي لا تعرفه فضلا عن أن تأكله.

فكيف يحاور يعقوب الذئاب ؟ بأية لغة كلمهم ؟ لقد كلمهم بمنطق هذي الذّياب ، وهي قدرة أعطاها ربنا لبعض عباده أو لبعض أنبيائه ، مثل ؟ مثل سليمان وداود ـ عليهما السلام ـ قال تعالى في سورة [1] النمل :

---

(١) آية ١٦.

(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)

ثم سردت الآيات التاليات ترجمة ما قالته النملة بمنطقها محذرة أخيّاتها من سليمان وجنوده ، وشكر سليمان لربه على نعمائه [1].

ثم حكت الآيات بعد ذلك حوار نبي الله سليمان مع الهدهد ، واستجوابه ، ورد الهدهد على نبي الله [2].

فمثل هذي السوابق من معرفة ما قالت لأخياتها النميلات ، وحوار سليمان مع الهدهد يؤشر ويؤكد ما ذكره المسلسل من حوار نبي الله يعقوب مع ذئاب كنعان ، أو تحققه من الذيب بريء من دم ابنه ، وهو ما صار مثلا ، حيث البراءة تشبه كثيرا ببراءة الذئب من دم ابن يعقوب.

<u>خامسا</u> ـ يعقوب يواجه أبناءه : وبمجرد عودة نبي الله من سؤال الذئاب حول يوسف واعتراف الذيب بأنه لم يفتك بيوسف ، حتى انفجر في أبنائه :

ـ أية مهلكة أوردتم فيها أخاكم يوسف ؟!... لماذا لا تجيبني يا لاوي ؟.
ـ قلنا لك إن الذئب ...
ـ أنتم تكذبون ، لقد أنكر الذئب ، وقال : إنه لا علم له بيوسف.
ـ الذئب ؟ ولكنّ أبي ، كيف يستطيع الذئب الإنكار ؟ (قال أحد الأبناء).

---

(١) راجع الآيات ١٧ ـ ١٩ من سورة النمل.
(٢) الآيات ٢٠ ـ ٢٨ النمل.

- أنا سمعت كلامه ، لقد حدث أبنائنا ، قال إنه لم يفتك بيوسف أبدا (قال بنيامين الشقيق الأصغر ليوسف الذي كان مرافقا لأبيه عند سؤال الذياب).
- اعترفوا بما صنعتموه بيوسف ، قبل أن يفوت الأوان ، لا زالت الفرصة سانحة.
- الحقيقة لا تعدو ما قلناه سابقا ، لقد فتك الذئب بيوسف.
- لا تفتروا على الذئب ، ما نزل بيوسف كان بأيديكم يا ذئاب الإنس ، توبوا إلى الله وأفشوا حقيقة ما جرى.

كان هذا الحوار والأبناء خجلون مطأطئو الرءوس ، لكنهم أسرعوا بالقيام تاركين أباهم الذي صرخ قائلا لهم :

- إن الله لا يفتح باب التوبة لأي كان ، لا سيما لأولئك الذين قلوبهم كالحجارة.

وبعد هذا الحوار الساخن مع الأبناء الذين انصرفوا عن أبيهم ، وتركوه في مكانه ، ومعه (بنيامين) الطفل الأصغر من أخيه يوسف الصديق.

سادسا ـ حوار مع ملك الموت : وعندما أعيت يعقوب الحيل ، ذهب إلى قبر (راحيل) يبث حزنه وأساه :

- (راحيل) أنا تعبت ، قلبي مكسور ، مكسور ، لقد أصبح أولادي أعدائيا ، لقد خانوا الأمانة ، هل تراني خنتك [1] في الأمانة أيضا ، لم أسطع ، لم أستطع أن أحافظ على يوسف جيدا ، أنا خجل ـ يا راحيل ـ أنا خجل ، تيقن لي أن الذئب لم يفتك بولدي ، ومن حينها تضاعف خوفي أن يكون إخوته قد قتلوه ، على كل حال ، أنت

---

(١) نطقها خنتك بكسر الخاء المرققة ، وكذا نطق (خانوا) بترقيق الخاء وهو خطأ بيّن.

تراقبينا من العالم العلوي ، وتعلمين أين هو يوسف الآن ، إذا كان يوسف قد مات ، فلا ريب أنه الآن في جوارك.

قال هذا يعقوب باكيا ناحبا بشكل يقطع نياط القلوب ، فكان من رحمة الله عليه أن ظهر ملك الموت ليجيب بشكل قاطع :

- قر عينا فالمنية لم توافِ ابنك يوسف بعد.
- سلام يا أخي (وقف يحيى الملك).
- السلام على يعقوب النبي ، يوسف لا يزال حيا ، وحكاية موته إفك يفترى.
- هل أنت واثق ؟!
- لا يكون موت في الأرض لا أعلم به ، لا تفتش على ابنك يوسف في عالم الأموات ، بل فتش عليه يا يعقوب في موقع آخر.
- هل سمعت ؟ أخوك لا زال حيا ، ابني يوسف لم يمت (موجها كلامه لبنيامين) ثم يسأل ملك الموت.
- هل يسعك أن تخبرني بأي أرض هو ؟
- إن علمي يقتصر على عالم الأموات.
- من كان هذا ؟ (قال الطفل بنيامين).
- رسول الحق وملاك الموت عزرائيل.
- لطالما تصورت عزرائيل كملاك مخيف.
- ليس مخيفا للجميع يا ولدي ، سمعت يا راحيل ، يوسف لا زال حيا ، هو لم يمت ، سامحيني يا راحيل لقد آن أوان العودة ، يجب أن نرجع قبل الغروب ، هيا يا ولدي.

وهكذا تيقن يعقوب تماما تماما ، وقر في قلبه ويقينه أن يوسف لم يمت ، ومن ثم عاد يعقوب وطفله إلى الأبناء الذين كانوا يتساءلون أين يكون يعقوب ؟ ورأوا محققين أنه كان عند قبر راحيل ، ثم قال أحدهما :

- هل يعرف أحدكما أين هما ؟ (أي يعقوب وابنه بنيامين).
- لا ريب أنهما عند ضريح راحيل ، لا زال يحب راحيل الميْتة [1] أكثر من أمهاتنا الأحياء.

وعاد يعقوب مهرولا إلى أبنائه حيث يجلسون ليقول لهم غاضبا محتدا :

- هل ما زلتم مصرين على كتمان ما صنعتمْ بأخيكم ؟!
- لقد أخبرناك سابقا ، هل نكرر ما قلناه لك !!.
- ألم يأت يوم تكفون عن الكذب ، ابني يوسف لم يأكله الذئب ولم يختطفه الموت ، لن أصفح عنكم إلا أن تتوبوا ، وتفصحوا عن حقيقة ما جرى.

وعاد الإخوة الثلاثة ليسألوا أخاهم الأصغر (بنيامين) بعد أن تركهم أبوهم ، وانصرف لحال سبيله :

- أين كنتما ؟
- كنا عند ضريح أمي ، وهناك علمنا أن أخي يوسف لم يمت !!.
- هل أخبرتك أمك راحيل أن أخاك لم يمت ؟!
- لا ، بل الرجل ذو الرداء الأبيض ، لقد قال أبي : إنه ملك الموت.
- لقد جن بالكامل!! (قالها أحد الإخوة يقصد أباه) صار دأبه السياحة في الصحراء.

---

(١) بسكون الياء ، ليس بتضعيفها هكذا (الميِّتة) وهو الصح ، لأنها بالتخفيف تكون ماتت بالفعل ، أما من سوف تموت أو سوف يموت فهو بتشديد الياء.

- أنتم المجانين ، أنتم الكاذبون ، أنا أمقتكم جميعا!! (قال بنيامين غاضبا وبصوت مرتفع).
- اذهب يا بنيامين (وقد هم أخوه يهودا بضربه).

وهنا خلا الإخوة إلى أنفسهم متصارحين ، فقال أحدهم للآخرين :
- أبي وبنيامين لا يقولان غير الحق (قال أحد الثلاثة ، ثم أردف) لماذا لا ترضون بأن نطلعهم على حقيقة ما صنعناه بيوسف ، رأيتم أن تدبيرنا خاب ولن نجني منه شيئا ، لا أصدق ما جرى ، لقد مضى زمن على رحيل يوسف وأبونا لا يزال معرضا عنا بالكامل ، يوسف غاب فأحل بنيامين محله ، في حين كنا نظن أن أبانا سيقبل علينا.
- ألم تقولوا : إنكم ستتوبون ، عندما فرقنا بين يوسف وأبينا يعقوب ، حسنا أو ليس هذا أوان التوبة إلى الله (قال الأخ الأصغر).
- لقد فات الأوان ، لم نعد نستطيع أن نعيد يوسف ، إذا افتضح أمرنا فلن نجني من ذلك سوى غضب الأب وجميع أهل كنعان (أضاف الأخ الأكبر في الثلاثة يهودا).
- إذا علم الناس بما صنعناه بأخينا فلن نطيق عندها العيش مكبوتين في كنعان أبدا.

وهكذا انتهى الحوار بين هؤلاء الثلاثة من أبناء يعقوب إلى هذي النتيجة الأسهل :

إذا علم الناس بما صنعوه بأخيهم يوسف فسوف يعيشون مكبوتين
منبوذين في ديارهم كنعان ، وهم ما يطيقون هذا

لقد فاتت الفرصة التي منحت للأخوة للاعتراف بما صنعوا ، ولكن أخاهم ذهب مع السيارة ، ولا يدري أحد إلى أين اتجهت القافلة ، ولكن اعترافهم كان يمكن أن يسهم في كشف اللغز أمام يعقوب وأهل كنعان.

يوسف الصديق في مصر المحروسة

فماذا عن يوسف في مصر المحروسة بعناية ربي ، لقد استقر الأمر بيوسف في هبة النيل :

- اشتراه عزيز مصر من قائد القافلة مالك بن ذاعر بثلاثة آلاف قطعة ذهبية.
- أصبح مباشر مائدة بوتيفار.
- أهداه إلى زوجه زليخا حيث إنهما لم ينجبا.

وهنا كان من المنطقي أن يفكر يوسف باستئذان الحاكم في قدوم يعقوب إلى أرض مصر ، فقد كان يوسف يحس بمدى مصاب أبيه بغياب يوسف ، ووصل إلى درجة أنه كان يقرأ لبوتيفار في كل ليلة.

لقد تعود عزيز مصر أن يُقرأ له في كل ليلة شيئا من الكتب في مكتبته ، الخاصة في تاريخ مصر ، هكذا كان الرجل الذي كان يلي الملك مباشرة في حكم البلاد مثقفا قارئا في ذياك العصر القديم من تاريخ مصرنا.

وفي إحدى الليالي وبعد تناول الطعام قال بوتيفار ليوسف :

- تعالى معي (وخرجا من حجرة الطعام إلى حجرة المكتبة المجاورة).
- هذه المكتبة بمثابة كنز ثمين تطلب الحصول عليه مشقة ، كل ما فيها من كتب قرأتها بنفسي ، أو قرأها على القارئ سوفر (القارئ السابق قبل يوسف) الذي قال للحاكم :
- من أي كتاب يرغب المحترم بوتيفار أن أقرأ له ؟

يأخذ بوتيفار كتابا ثم يعيده إلى مكانه إلى رفه ، ثم من على المنضدة يأخذ كتابا ربما كان يُقرأ له منه ، يعطيه ليوسف قائلا :

- الليلة اقرأ لي من هذا الكتاب ... إنه كتاب يحمل نبوءات عن مستقبل مصر ، لا علم لي برؤية صاحب هذه المخطوطة ، لكن ما يقوله فيها يستدعي منّا التأمل.

يقرأ يوسف :

- إن سطوة مصر ليست خالدة ، والظلم المهيمن عليها لن يدوم ، سيأتي يوم تنقلب فيه الموازين بمصر رأسا على عقب ، فيستبدل الفقير والغني مواضعهما ، وسوف يحدث هذا الانقلاب عقب نزاع دام ، سوف يستولي العبيد على قصور سادتهم الأغنياء ، ولن يعبد الإله آمون ، وسيكون منبوذا عند الخلق ، سيستولي الناس على السلطة ، ويقبلون على عبادة إله خير من الإله آمون.
- أصدقك القول ـ يا يوزرسيف ـ لا استبعد تحقق النبوءة هذه ، أما كيف ؟ فلا أعلم ، ما الذي يجول بخاطرك يوزرسيف ؟!
- أما أنا فأعلم كيف ؟! لن يكون هذا الأمر إلا على يدي رسول من السماء ، أو مخلص آت من عند الله ، وحده هو سيقدر على أن يطيح بعرش الظالمين والمترفين ، وأن يفضح آمون ومعه كل الآلهة المدعاة على ظهر هذا الكوكب ، بلى ، لا ريب أنني أعلم.
- أنت أكبر وأعظم مما تبدو لنا يا يوزرسيف ـ أين تعلمت هذي الكلمات ؟ (ثم يردف) أنا لا أشك أنك معادٍ للإله آمون فضلا عن أن تعبده ، أو تسجد له.
- آمون لا يعدو كونه وثنا من صخر ، وليس من الحكمة في شيء أن يعادي المرء صخرا (يغرق الحاكم على قفاه من الضحك ، ثم يردف) :

- تعالى واسمع ، إنه يأنف أن يتخذ آمون عدوا له فضلا عن أن يتخذه ربا يعبده (يضحك مرة أخرى) لو أن ألخماهو الكاهن الأعظم سمع استهزاءك بإلهه لشنق نفسه من فوره (ثم يعود لوقاره وجديته الصارمة) :
- إياك أن تبدي حقيقة معتقدك أمام أحد ، وبالغ في الحذر من (زليخا) فهي تغالي في حبها لآمون.
- يا عالي المقام : أود لو سمحت أن أسألك عن معبودك ؟
- فيما مضى كنت أعبد آمون ، أما اليوم فلا أعلم ، لا تفش هذا أمام أحد ، أما أمقت كهنة معبد آمون مقتا شديدا (قال بحدة) .
- هل لي أن أسأل عن علة هذا النفور ؟!
- سادة المعابد وقحون ومستبدون يكتفون بتحقيق مصالحهم عوض أن يعملوا لمصلحة الشعب ، حسنا هذا يكفي ، اذهب لترتاح.

وبما أن مكانته الآن ترسخت لدى العزيز (بوتيفار) فإن المنطقي أن يتذكر أباه وأن يستأذن في الكتابة إليه ، وهو ما كان ، كيف ؟!.

ذهب إلى حجرة نومه ، وقبل نومه فتح نافذة الحجرة مناجيا ربه ساعة سطوع القمر في قمته :

- اللهم إني أسألك الخير والإحسان لجميع أصدقائي ، اللهم أهد بوتيفار وزوجه زليخا ونيمي سابو وهونيفر ، واهدِ الجميع ، إلهي أسألك أن تسعد روح أمي راحيل.

ويعود إلى قميصه في صندوق ملابسه حاملا إياه على يديه ضارعا إلى الله :

- اللهم إني أسألك أن تلهم أبي يعقوب الصبر والسلوان.

ثم يتذكر كلام أبيه وهو يلبسه القميص قبيل أن ينطلق مع إخوته مسترجعا وصية أبيه ، وهو يلبسه قميصه :

- إياك أن تبتعد عن إخوتك ، اعتن بنفسك جيدا يا ولدي ، خذ هذا القميص والبسه.
- أعلم أن ألم الفراق عسير عليه ، أعنه يا الله لكي ينساني (ضرع يوسف إلى ربه) ثم أخذ قرطاسا يكتب شيئا ، وهنا ظهر رسول السماء :
- سلام على يوسف النبي.
- سلام الله على رسول الحق ، وملاك الوحي.
- ماذا تفعل يا يوسف ؟
- سأكتب رسالة إلى أبي يعقوب ، أريد أن أطلب إلى الحاكم بوتيفار أن يرسلها إلى أبي ليعرف أحوالي ويطمئن إلى حالي.
- لا يا يوسف ، لم يحن أوان ذلك بعد ، يتعين عليك وعلى أبيك يعقوب أن تصبرا على هذا الفراق.
- أود لو أعرف السبب.
- الأسباب كثيرة ، وإخوتك هم أحد هذه الأسباب ، قل لي - يا يوسف - هل تريد أن ينال إخوتك مكروه من جانبك ؟ أجب ؟
- إذا علم أبي بما فعلوه فسوف يلعنهم جميعا ، ولعنة أبي ستقلب بيض أيامهم سودا ، لا ، لا ، لا أريد أن ينال إخوتي أي مكروه.

انتهى الحوار مع ملاك الوحي ، وقبله مع بوتيفار ، ولكن الساحرة وصيفة زليخا المظهرة لشديد عداواتها ليوزرسيف كانت تسترق [1] السمع وتتسمع وتنظر إلى يوسف مذ دخل حجرته حتى انصرف عنه ملاك الوحي ، ونقلت كل هذا إلى

---

(١) حلقة ١٢ ، ومن الملاحظ في هذه الحلقة أن زليخا كانت تنطق الفعل المضارع (يعبد) بكسر الباء ، ليس بضمها ، وهو خطأ صريح صراح ، وكذا قالت (يعجز) بكسر الجيم ، وهي بفتحها ، راجع حلقة ١٣.

زليخا ، وتصورت أن هذا يتم كل ليلة ، ولكن على أي الأحوال فقد كان من المنطقي أن يحاول يوسف مراسلة أبيه للاطمئنان على أحواله ، ولكن رسول السماء منع هذا خوفا على إخوة يوسف من غضب أبيهم ولعنته ، وفضيحتهم في كنعان ، والله ما أراد وما شاء ، فلا راد لمشيئته وإرادته.

نترك يوسف في مصر ، ونعود إلى :

يعقوب في أرض كنعان

لد أصبح على يقين تام تام بأمرين :

- كذب أبنائه وبراءة الذنب من دم ابنه.
- يوسف لم يمت قطعا وهو على قيد الحياة.
- وكان الطريق إلى بيان الحقيقة أن يثوب الأبناء ويتوبوا معترفين بما صنعوا بيوسف ، ولكن هذا ما حدث ومن ثم كان قرار الأب الذي لا رجعة فيه هو اعتزال أبنائه ، ومفارقتهم فيما بناه وسماه بين الأحزان ، بعيدا عن حجرات أبنائه.

أتت ابنته وزوجه بطعام له وهو يبني بيت أحزانه يعاونه فقط ابنه الأصغر بنيامين ، فكان بين الزوج وزوجه هذا الحوار :

- عافاك الله ، يبدو أن قرارك ببناء الكوخ لا عودة عنه.
- لم أعد أطيق العيش إلى جوار أولادي ، عزمت على أن أنتظر يوسف ما حييت.
- إلام الانتظار ، ألا تريد أن تواصل حياتك ؟!.
- سأظل أنتظره حتى يجيء يوم عودة ابني يوسف ، سأبقى ملازما لهذا الكوخ حتى حينه ، وسأرمق الطريق التي سلكها مغادرا في ذلك اليوم المشئوم.
- ألن ترتاح قليلا ، حان وقت الطعام.
- لا عليك ، سآتي ، بنيامين : تعالى يا ولدي.
- ثم عاش يعقوب بقية حياته ينتظر عودة يوسف مؤملا اعتراف أبنائه الذي ينير الطريق إلى معرفة ما جرى ، فماذا صنع :

أولا - انتهى من بناء بيت أحزانه ، ولم يسمح لأحد أبنائه من مقابلته أو من رؤيته ، وبعد اكتمال البناء جاءت الزوجة وابنته ، ودار هذا الحوار بينهم :

- هذا هو بيت أحزاني ، سأمضي داخل هذا الكوخ ما بقي من أيام حياتي ، وسوف أذرف الدمع على فراق يوسف ، سوف أبقى أرمق هذه الطريق منتظرا عودته إلينا (قال هذا وهو يقبل بنيامين).
- أبي ، هل حقا تظن أن أخي يوسف سيرجع إلينا ذات يوم (قالت ابنته).
- لا ريب في ذلك يا بنتي ، ينبغي علينا أن نبقى متأهبين عودته.
- ألم تنس يوسف يا نبي الله ؟
- وكيف لي أن أنساه ، إنه لو كان ميتا أو قتيلا لقعدت في عزائه ، وانتهى الأمر ، أما الآن فلست أعلم بأي حال هو ، لا أنفك أسأله نفسي عما يفعله في ساعته ، أي بلاء نزل[1] به ، هل وقع أسيرا بين أيدي قطاع الطرق ، أم اختطفه النخاسون واسترقوه ، هل أجبروه على العبودية ، جائع هو أم شبعان ، أمكتس هو أم عريان ؟؟!!.
- هون عليك يا نبي الله ، لماذا تعذب نفسك إلى هذا الحد ؟.
- الحزن على قتل الأحبة ينقضي ، أجل ، أما ألم الفراق والهجر والفراق فمخلد ، مع ذلك سأستعين بالصبر الجميل ، وسوف أفنى أيام الفراق والهجر على أمل الوصال.

ينخرط في البكاء ثم ينصرف إلى داخل الكوخ ، بعد البوح بهذي المشاعر المريرة [2] التي أتفهمها تماما تماما ، فقد مررت بتجربة صغيرة صغيرة ، غاب فيها

---

(١) نطقها (نزل) بكسر الزاي ، وهو خطأ.
(٢) راجع حلقة ١٣.

ابن ذو ستة عشر عاما عن البيت لمدة يومين فقط ، ليس إلا ، كانت إحدى الكبر في الأسرة ، لا أراه الله لعدو ولا لحبيب.

على أية حال دخل يعقوب في رحلة انتظار يوسف في بيت أحزانه ، وبدأ رحلة البحث عن الغائب ، ولم يك أيامها لا فضائيات تنقل الحدث بالصورة قبل الصوت ، ولم تك هنالك وسائل اتصال ـ كما هي الآن ـ الجوال والشبكة الدولية إلى آخره ، فماذا صنع الأب المكلوم في البحث عن غائبه ، وماذا حدث له ؟ هذا ما سوف نحكيه من الآن ، ما هي الخطوة التالية بعد بناء بين الأحزان ، كانت :

ثانيا ـ مصاحبة بنيامين : شقيق يوسف الأصغر ، مذ ذهب يوسف عنه ، وقد ظل بنيامين وفيا لأخيه الغائب ، راعيا قريبا من أبيه ، وهذي واحد من المشاهد التي يظهر فيها ما سبق [1] :

- يعقوب : أنا شاكر لك ـ يا بنيامين ـ لو أنك لم تملأ بعض الفراغ الذي خلفه يوسف بعد رحيله لقتلني الحزن على فراقه.
- بنيامين : أحمد الله تعالى أن شرفني ووفقني إلى رعاية نبيه يعقوب والعناية به (قال هذا وهو يدلك قدم أبيه).

وعندما جاءت خالة بنيامين (ليا) وأخته بالماء والطعام حمل عنهما قلة الماء الثقيلة قائلا :

- أعطني إياها أمي ؟
- خذ يا بني.

---

(١) حلقة ١٤ ، وراجع أيضا بداية الحلقة ١٥.

- هل تذكرين يا ليا ، يوسف مثل بنيامين ، كان يناديك : يا أمي (قال يعقوب).
- لقد مر على هذه الحادثة أحد عشر عاما - يا أبي - لكن ذكرى يوسف لا تفارق شفتيك ، ألم يحن بعد أوان أن تنساه (قالت الأخت بأسى).
- هل تذكرين الرؤيا التي رآها يوسف ؟
- أجل أذكرها حتما ، لقد رأى في منامه أنك وأمي وإخوتي تسجدون بين يديه.
- هذه السجدة تعني أن يوسف سوف يسودني وذريتي أجمعين ، تعني أن ليوسف ولاية عليّ (قال يعقوب) قد يسعني يا ليا أن أنسى بعض أولادي ، لكن لا يجوز لي أن أنسى ولي الله أبدا.

وفي هذي الحالة كان بنيامين يتابع الحوار بين أبيه وبين أخته وخالته (ليا).

ثالثا - جاءت ليعقوب فرصة ثمينة بأن يوسف في مصر ، كيف كان ذلك ؟ في الحلقة ٢١ عندما كان يوسف مع سجناء زويرا في مقالع الحجارة شردت ناقة أحد الكنعانيين ، وكان هذا بترتيب إلهي ، شرود الناقة إلى أن انتهت إلى هاتيك المقالع حيث نبي الله يوسف ، وهنالك دار بينهما الحوار التالي :

- ما بك ، يا رجل ؟ لماذا هربت الناقة ؟
- لا أدري ، لم أسطع اللحاق بها برغم جهدي !! فرت من القافلة وقصدت هذه الناحية ... لقد أتعبتني !!
- هل أنت كنعاني ؟!
- أجل ، كيف علمت هذا ؟.
- من ثيابك هذه !! تشبه أثواب الكنعانيين ، فقد عايشتهم لمدة من الزمن.

ثم يأتي الحارس المكلف بمتابعة عمل السجناء في مقالع الحجارة ليسأل الكنعاني بحزم :

- أنت ، ماذا تفعل هناك ، ألا تدري أن هذي الناحية محظورة ؟.
- الذنب ليس ذنبي ، فرت ناقتي إلى هذه الناحية ولحقت بها مرغما.
- غادر هذا المكان وعلى الفور.
- إنه من أهل بلادي التي نشأت فيها ، فإن سمحت لي من فضلك أن أحدثه قليلا ؟ (قال يوسف للحارس).
- لا مانع ، ولكن فليغادر فورا.
- قلت : إنك كنعاني !!
- أجل ، من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟
- إنها قصة طويلة ، أخبرني : هل تعرف كبير أهل كنعان ؟
- أجل يعقوب النبي ، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.
- سمعت أن له أثنى عشر فرعا مورقة مثمرة !!
- كان ، لكنهم قطعوا أحد الفروع.
- أتعرف شيئا عن حال يعقوب النبي (قال يوسف والدموع تملأ عينيه) ؟
- سمعت أنه ابتلى بيت الهجران ، اتخذ لنفسه بيت أحزان ، واعتزل الناس جميعا ، ويمضي أيام دهره متأوها بحزنه على ذلك الفرع المقطوع.
- ما الذي يبكيك أنت ؟!
- إن ذهبت إلى كنعان وقصدت ذلك الشيخ المفجوع ، أخبره أنك تحمل رسالة من شاب مهجور وسجين ، أخبره أن السجين يقول لك : (كلما جزعت من ألم الفراق ، وبلغت نيرانه منك مبلغها أرفع يدي التضرع... وادع لجميع الأبناء الذين فرقتهم الغربة).

- من أنت ؟ لم تعرفني عن نفسك !
- أعتذر لا يمكن ، هذا الأمر ليس مأذونا لي (وهنا جاءت الناقة) فاستمر يوسف قائلا : هذه ناقتك ، لم تعد تخاف منك.
- أمر عجيب !! كم ركضت في طلبها !!
- ليس عجيبا أبدا ، فكل مخلوق في هذا الوجود إنما هو مأمورا ، ويسير نحو هدف محدد.
- تقصد أن هذه الناقة ساقتني إلى هنا عمدا ، القافلة تنتظرني ، في أمان الله.
- في حفظ الله.
- قل لكبير كنعان - من فضلك - فليجعل الله عوضا له عن ذلك الفرع المقطوع ، وليجعل زاده الصبر ، وليدع ربه أن يجده في أقرب وقت ، ودّع يوسف الكنعاني قائلا : (في حفظ الله).

وهكذا انتهى المشهد إلى النتائج التالية :

١- إن الناقة ذهبت مأمورة إلى مكان يوسف.

٢- تلميحات بأنه يوسف - دون تصريح - لأنه لم يؤذن له بالتصريح بهويته.

وكل هذا وكل هذا نقل إلى يعقوب عن طريق مليخا التاجر ، وهذا ما رأيناه في الحلقة التالية من المسلسل ، حلقة ٢٢ :

عاد مليخا إلى أرض كنعان ، وتوجه من فوره إلى يعقوب ، حيث وجد ابنه بنيامين فقال :

- سلام الله عليك.

- وعليك سلام الله ، أبحث عن يعقوب النبي.
- وماذا تريد منه ؟
- أحمل له رسالة من شاب سجين في مصر.
- هل قلت : من شاب سجين (ترك بنيامين مكانه قائلا لمليخا : تفضل معي) وصحبه إلى غرفة يعقوب ، وقبل أن يصلها أشار إلى الضيف بالتوقف حتى يستأذن له ، ثم صحبه إلى داخل الغرفة ليلتقي يعقوب الذي أمطر مليخا بعديد من الأسئلة :
- شكله ؟ ماذا عن طلعته ؟ ما هو عمره ؟
- قامته طويلة ، أظن أنه في الثلاثين أو أكثر بقليل.
- هل كل حسن الطلعة ، اسمه أليس يوسف ؟
- سألته عن اسمه فاعتذر عن ذكره ، أما جماله فلم يبدُ لي لكثافة شعره ، وطول لحيته.
- جمال يوسف يبدو لي حتى من وراء الحجب ، لا ، لا شيء يمكن أن يخفي جماله على الإطلاق.
- سألني عن كبير أهل كنعان فذكرتك ، سألني عن فروعه الاثنى عشر المثمرة ، قلت : إن أحدها انقطع (ويتدخل بنيامين في الحوار) :
- لم لم يذكر اسمه ، لِمَ اعتذر عن ذكره ؟
- لو كان يوسف لذكر اسمه (عقب يعقوب) لذكره من أجل أبيه.
- قلت إنه بعث معك برسالة (قال بنيامين).
- أجل ، طلب أن تدعو للسجناء الغرباء والمكروبين.
- خلصهم الله من القيود وأسر السجن (دعا الأب).

- قال السجين إنك متى ما رفعت يد التضرع نحو الله ، فادع بحق الأبناء الذين فرقتهم الغربة عن آبائهم.
- هذا يوسف ابني ، إن هذا الابن البعيد عن أبيه لهو ابني ، أتسمع يا بنيامين ، هذا حديث أخيك يوسف ، وهو يتأوه على فراق أبيه.
- اهدأ يا أبي ، وأين يوسف من مصر ، ومن السجين أيضا ، ما عدا ذلك فإن أوصافه تطابق يوسف تماما.
- أشهد أن هذا السجين هو يوسف ابني ، أو هو يَخبُر حاله.
- أسمعني السجين أيضا حديثا حول خلافة الله والفرع المقطوع ، ولكن ذهب عن بالي.
- إلهي وربي : خلص ذلك السجين من غياهب السجن ، وأذقه حنان أبيه ، اللهم متع أبصار أبيه برؤيته ، وأنر قلبه.
- إن أذنتم لي فأسألكم الرخصة.
- حفظك الله من كل شر ، وجزاك أحسن الجزاء ، ثم قام يعقوب فقبل عينيه قائلا : أرجو أن تكون هذي العيون قد رأت يوسف ابني.
- آمل ذلك ، في أمان الله.
- رعاك الله ... اللهم اقض حاجة السجين المصري المحتاج للدعاء.

<u>وفي الحلقة ٣٣</u> : انقطعت جميع الآمال إلا في مصر ، كيف كان ذلك ؟ إن يعقوب في غمرة حزنه على يوسف سمع صوت قافلة آتية إلى كنعان فأمر أحد أحفاده على الفور :

- اذهب وقل لأبيك بنيامين أن يأتي إليّ ، وعلى الفور حضر بنيامين سريعا قائلا : (أبي ، هل أردتني في شيء ؟).
- بني ، أخبرني هي يمكن أن تأتيني بصاحب القافلة ؟.
- حسنا أبي (يسرع صاحب القافلة ليعود بنيامين بصحبة الرجل الذي بدا بتقبيل يد يعقوب) قائلا :
- سلام الله على نبي الله يعقوب.
- أنت مليخا ، سلام الله عليك يا أخي.
- أخبرني مليخا ، قل لي : ما الأخبار ؟
- كثيرة ، لكن ليست الأخبار التي تنتظر سماعها.
- من أين قدومك ، وأي البلاد تقصد ؟ وما بضاعتك ؟ وتجارتك ؟
- كالعادة ، أشتري من الهند نوعا من الأعشاب طيبة الرائحة ، أسلك بها طريق الحجاز وكنعان إلى مصر لأبيعها للمحنطين.
- وهل بحثت لي عن ضالتي أيضا ؟
- كثيرا ما سألت التجار والباعة عن يوسف في الهند والحجاز ومصر ، لكن أحدا لم يعرفه ، كما استطلعت أمره لدى النخاسين فلم يسمع بهذا أحد.
- في أحد الأيام جئتني بأخبار عن شاب سجين في مصر ، لا أدري لماذا ينتابني شعور دائم أن يوسف في مصر.
- ما أخبار مصر وما أوضاعها ؟ (قال بنيامين).

- ضربها القحط ، لكن عزيز مصر وهو رجل حكيم ذو كياسة ، كان قد ادخر الحنطة باكرا فاستطاع أن يواجه القحط بتدبيره ، أهل مصر يسمونه (يوزرسيف) ويحبونه كثيرا.
- يوزرسيف ، ما أشبه اسمه باسم ابني يوسف.
- أين يوسف ضالتنا من عزيز مصر (قال بنيامين).
- لا تنس أبدا طلب هذا الشيخ العجوز ، وأنا بدوري سوف أطلب لك الخير في دعائي لله.
- حتما يا نبي الله.
- سلمك الله أنت وأهل القافلة معك ، وأفاض عليكم من خيره وبركاته ، اذهب مليخا وأنا في انتظارك (وأردف بعد انصراف مليخا قائلا) : أظن أن كنعان سيضربها القحط أيضا برغم أن الأوان قد فات على الأرجح ، حاولوا أن تدخروا القمح ما استطعتم فلا تتقطع بكم السبل.

وهكذا اتضح ليعقوب ما يلي :

<u>أولا</u> :

١- بوصيلة البحث عن يوسف تتجه نحو مصر ، لا غير.
٢- القحط ضرب مصر ، ولكن عزيزها أخذ الاحتياط المناسب فعمد إلى مخازن ضخمة فملأها بالحنطة.
٣- إن كنعان هي الأخرى سيضربها القحط ، لكن وقت الاحتياط واتخاذ التدابير قد فات.
٤- إن اسم عزيز مصر (يوزرسيف) لهو قريب من اسم ابنه.

ولكن يعقوب لا يهدأ له بال دأبا وبحثا عن ضالته (يوسف) وهو ما يتضح في النقطة التالية :

<u>ثانيا ـ القحط</u> : الذي ضرب البلاد والعباد سوف يقود ـ في النهاية ـ إلى انحلال عقدة اختفاء الطفل (يوسف) كيف كان هذا ، وماذا صنع يعقوب ؟ هذا ما سوف نراه في التفصيل التالي :

إن القحط سيضرب ـ حتما ـ كنعان ، فالرأي الاقتصاد ما أمكن في استهلاك القمح ، وادخار ما يسطاع ، فكيف كانت النتيجة ؟.

<u>في الحلقة ٣٤</u> : ضرب القحط مضارب كنعان وكان رأي نبي الله أن يحصدوا ما يمكن حصده مهما كان المحصول قليلا.

ولكن الأزمة اشتدت واشتد حتى التفت حلقتا البطان أو كادت ، فكان الحل نحو مصر ؟ كيف ؟

<u>في الحلقة ٣٥</u> : يتهيأ بنيامين للقاء أبيه ، تيك العادة التي اعتادها الرجل غروب كل شمس حيث وجد في بنيامين تسلية وعوضا عن أخيه الغائب يوسف.

<u>في الحلقة ٣٦</u> : يذهب كبير ياوران يعقوب لدعوة إخوة يوسف جميعا إلى لقاء أبيهم الذي بادرهم بمجرد وصولهم إلى أبيهم :

- هذا القحط ، وهذه الشدة نعمة من الله ، فظاهره عذاب ، وباطنه رحمة ، لكنه لن يكون رحمة على حفنة من الكسالى من أمثالكم.
- نحن نموت جوعا ـ يا أبتِ ـ وهؤلاء الرجال لا يكترثون (قالت ابنة يعقوب).
- ما الذي أصابكم ؟! حتى متى ستندبون حظكم وتبكون على ما فاتكم ، تزعمون أنكم رجال أشداء ، وأن كلا منكم يقوم بأعباء عياله وأولاده ، أرى وكأنكم قد عزمتم

على أن تقفوا مكتوفي الأيدي حتى تفنى عوائلكم واحدا تلو الآخر.

- وماذا عسانا نفعل - يا أبت ؟.
- وماذا يمكن للنسوة أن يفعلن إذا عجز الرجال ؟!
- اعملوا واجتهدوا ، ولا تكونوا عطالين بطالين.
- لكن - يا ابت - كل القرى والمدن من حولنا قد أصابها القحط أيضا ، فما عسى البحث والجد يغني عنا ؟
- سمعت من مليخا التاجر ومعه أناس آخرون أن أحوال مصر على ما يرام ، فقد عمد عزيز مصر إلى مخزن كبير فملأه بالحنطة ، عليكم أن تجمعوا ما توفر لكم من الدراهم والدنانير لتشدوا الرحال إلى مصر ، علكم أن تقوا أولادكم من الجوع والفقر ، أما القعود هنا والتأسف على الحال فليس وسيلة لمواجهة القحط.

وهكذا كان الأمر صريحا صريحا من يعقوب بالسفر والتوجه إلى مصر ، بل الأم أمنت على أوامر الأب ، عله يسامحهم على ما فعلوا. فماذا حدث لأبناء يعقوب ؟ الذين انطلقوا إلى مصر باستثناء بنيامين الذي أبقاه أبوه معه في كنعان ؟!

١- وصل أبناء يعقوب إلى بوابة مصر ، وبمجرد وصولهم تشاجروا مع ضابط البوابة الذي أخذ أسماءهم وطار بها على عزيز مصر الذي أمر باستضافة إخوته برعايته.
٢- بعد أن أكرم إخوته سمح لهم بلقائه بحضور مالك الذي اشترى منهم يوسف فاكتشف أن إخوته ما يزالون يكذبون في ادعائهم أن الذئب أكل أخاهم.

وإن أحدا من إخوته ما عرف يوسف إلا لاوي الأخ الأكبر الذي أنقذ أخاه من القتل واقترح إلقاءه في الجب ، لاوي هذا صرح بعد اللقاء بأنه لا يدري ؟ لا يدري

سبب الشعور بأنه رأى عزيز مصر قبل الآن ، ألم يبدُ لكم مألوفا أيضا (شعور صحيح مائة في المائة) ولكن يهوذا يمازح قائلا : بلى ، بلى ، أنا أشعر أنني رعيت الأغنام برفقته بالبادية عدة مرات ، وضحك الجميع ، وبعد الضحك صرح أحد الإخوة بأنه أيضا يشعر بأنه يعرفه مثل لاوي.

٣- أمر يوسف رجاله يقبض ثمن الحنطة أمام إخوته ، ومن ورائهم أمر رجاله بدس الثمن في رحالهم من خلفهم.

٤- كما اشترط عليهم إحضار أخيهم بنيامين في المرة القادمة ، وإلا فلا كيل لهم من الحنطة أبدا.

وعاد الإخوة إلى كنعان ليكتشفوا أن أموالهم ردت إليهم وليفاتحوا أباهم في ضرورة اصطحاب أخيهم بنيامين ، وإلا فلا كيل لهم في مصر ، ولا عند العزيز.

وهنا يجب القول بأن عقدة اختفاء يوسف قد أكدت البوصلة نحو مصر ، ونحو عزيزها ، كيف كان ذلك :

١- إن اثنين من إخوة يوسف كانا يشعران أنهما رأيا العزيز قبل ذلك.
٢- يعقوب الأب عندما وضعت الحنطة التي كالها لهم عزيز مصر في كفه شمها فقال : ما أزكى هذه الرائحة ، كأنما أفلتت من عقال ، ثم أردف : تفوح منها رائحة الحياة ، رائحة هذه الحنطة ليست غريبة ، لقد أعادت الحياة لأهل كنعان قاطبة.
٣- إن عزيز مصر أكرمهم وحدهم ، دون سواهم من أهل كنعان.
٤- هذا الاهتمام من قبل عزيز ربما كان عن معرفة ، هذا رأي يعقوب.

ثم دخلوا في المسألة الشائكة ، ألا وهي مسألة اصطحاب أخيهم الأصغر (بنيامين) وإلا فلا قدوم إلى مصر ، بل سيعاقبون إن أتوا ، وكانت النتيجة رفض يعقوب رفضا باتا أخذ بنيامين إلى مصر.

إلا أن ضغط الحاجة ودفع الموت المحقق عن بني يعقوب وآله ، كل هذا دفع بيعقوب إلى الموافقة مكرهاً بعد أن أخذ على أبنائه عهد الله وميثاقه أن يحفظوا أخاهم الأصغر ، ثم انطلقوا إلى مصر ، بعد نصح الأبناء بتحاشي لقاء العزيز والدخول من أكثر من بوابة مصرية.

لقد تيقن نبي الله بأن العزيز يدبر لأمر ما ، ما هو ؟ أهو خير أو شر ؟ إن يعقوب لا يدري ، لقد كان محقا تماما في حدسه.

كل هذا أكد البوصلة نحو مصر ، وعزيز مصر ، لكن ما كان على أبناء يعقوب إلا السير نحو مصر.

وهنالك حدث ما يلي :

١- لقد انتصحوا بما نصح به أبوهم ، لا يدخلون من باب واحد ، بل من أبواب متفرقة ، ولكن عزيز مصر ورجاله كانوا لهم بالمرصاد ، ومن ثم أتى بهم إلى العزيز.

٢- وبمجرد دخول يوزرسيف على إخوته تعرف إلى أخيه بنيامين ، قائلا :

- أأنت أخوهم الذي حدثوني عنه ، يحق لأبيك أن لا يأذن بمفارقتك.

وكانت القضية التي طرحت بين الإخوة هي تأخير الإخوة عن مصر في كنعان ، وكانت الاجابة رفض يعقوب سفر بنيامين مع إخوته إلى مصر.

فأما القضية الثانية فكانت رد الأموال إلى بني يعقوب ، وهناك انبرى الإخوة في الخوض في الأسباب التي رأوها في رد الأموال ، لكن يوزرسيف قال لهم :

- قد تكون كل هذي الأسباب قد خطرت ببالي ، لكن أكثر ما أردته أن أقدم هدية إلى والدكم العجوز ، فقد فهمت من كلامكم أنه رجل ضرير !!.

ثم أمر بإحضار الطعام ، لكنه أردف أمره الصاعق والغريب بأن يجلس كل أخ أمام أخيه من أمه (تدبير من يوسف) وكانت النتيجة الحتمية أن بقى بنيامين وحده ، لأنه لا أخ له من أمه في الجالسين ، وعليه فقد طلب منه أن يجلس مع العزيز نفسه ، حيث تصارح الشقيقان من أم واحدة هي (راحيل) قال بنيامين وهو ينظر إلى يد يوسف قائلا :

- كان لأخي يوسف خال بظاهر يده كالذي لك ، مازلت أذكر ذلك جيدا ، وبرغم أنني كنت طفلا حينها.
- وماذا عن وجهه (قال يوسف ، ثم أردف) : أما زلت تذكره ؟
- أجل أذكره بشكل جيد ، فنحن - الاثنين - كنا نلعب باستمرار.
- ألا تتعرف عليه إن رأيته ؟
- أنا لا أعلم .. تعني أنه قد يكون حيا الآن ؟

وانتهى المشهد بانحلال العقدة لدى بنيامين ، إذ تأكد أن يوسف أخاه هو عزيز مصر ، وقد لاحظ الإخوة دفء الحوار ومودته بين العزيز وبين أخيهم فقاموا على الفور يلومونه على الضحك والبكاء بين يدي العزيز فرد أخوهم :

- بكيت عندما ذكرني أبي.
- وضحكت عندما قال العزيز إنك كالطفل يبكي لفراق أبيه.

وغادر الإخوة طيبة محملين بأكيالهم من الحنطة ، وفي حين كان يوسف قد أعد لهم مفاجأة من العيار الثقيل (تسونامي خطر) صنع صنيع عمته فائقة بوضع حزام النبوة في وسط يوسف ، وفتش أفراد الأسرة واحدا واحدا حتى وجدوه عند يوسف ، وكانت العقوبة في كنعان أن يسترق السارق عند المسروق منه لمدة سنتين ، وهكذا كان.

عند انصراف العير من طيبة لحق بهم الشُرط والعسس ليعلنوا أنهم متهمون بسرقة صواع الملك ، وبالفعل فتش الجميع ، فوجد الصواع في رحل بنيامين ، فأخذوه عبدا كما تنص العقوبة في أهل كنعان.

وعبثا حاول الإخوة إقناع العزيز بأخذ أحدهم مكان بنيامين ، ولكن العزيز أبى إباء شديدا ، لكن المفاجأة الأخطر كانت في امتناع لاوي العودة معهم.

وعند العودة إلى أبيهم بدون لاوي وبنيامين انهار يعقوب تماما ، تماما بدءا من إعلان أن : (ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۞ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) [1].

نزل هذا الخبر صاعقة على يعقوب ، وكان في انتظاره صاعقة أخرى ، وهي : (... فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) [2] وبقي لاوي في أرض مصر ، وفي حاضرتها (طيبة) يرقب بنيامين الذي يصطحبه العزيز أينما ذهب.

---

(١) ٨٢ ، ٨٢ يوسف.
(٢) آية ٨٠.

وعندما علم يعقوب بهذي الصواعق تولى عن أبنائه حتى ابيضت عيناه من الحزن على يوسف ، وعلى أبنائه الآخرين بنيامين ولاوي ، وهكذا انعزل عن الناس وعن أبنائه ، لم يصدق أن ابنه سرق ، وأن لاوي بقي في مصر ، وكذا الأسرة كلها.

وفي وسط هذي المناحة والبكاء والحزن على الأبناء الغائبين ، خاصة يوسف ، وفي هذا الوسط الباكي النادم جاء الوحي إلى يعقوب يسري عنه ليعلن له في النهاية : (... استطلع الأمر ، واستعلم حال يوسف ، وتحر أخبار مصر ، فلعلك ترى باقة أمل) ثم اختفى رسول السماء وملاك الوحي.

وفي النهاية خرج يعقوب لمساءلة بنيه :

- أطلعوني على ما جرى منذ بدء ورودكم على ديار مصر ، ألم أطلب إليكم أن تأخذوا جانب الحيطة وتكتالوا بدون جلبة ، كيف انكشف أمركم.
- كان عزيز مصر قد زرع العيون علينا ، كانوا يبحثون عنا ، وفي النهاية تعرفوا إلينا.
- إلى هذا الحد بلغ إلحاح عزيز مصر على لقائكم ، لكن لماذا ؟
- عندما دخلنا على عزيز مصر رحب بنا ، وعاملنا بغاية الإحسان واللطف.
- كما أنه خص بنيامين بمزيد من اللطف والكرم.
- أبي ، عندما جلسنا إلى الطعام جلس كل منا إلى أخيه من أمه.
- أعني أن عزيز مصر أمر بذلك.
- بنيامين بقي وحيدا ، فعمد إليه عزيز مصر فجلس إليه ، كانا يأكلان سويا.
- لقد تناجيا طويلا ، فلم نسمع كلامهما.
- اجتمع البكاء والضحك في حديثهما.
- عزيز مصر كان يبكي ويضحك مع بنيامين (قال يعقوب).

- بل بنيامين وحده كان يبكي ، وعندما سألناه ، قال إنه يبكي على فراقك أنت.
- بنيامين كان يبكي في محضر العزيز على فراقي بضعة أيام ، هذا يجافي العقل !!.
- كانت الأمور تسير بشكل جيد إلى أن قبض على بنيامين.
- أشعر أن ثمة سرا كامنا وراء ما أقدم عليه عزيز مصر ، إما أنه مطلع على أمر يوسف أو أنه قادر على أن يعينكم في البحث عن أخيكم ، اذهبوا وتحسسوا من أمر أخيكم يوسف عند عزيز مصر .. ثمة ما يجري في مصر يا أحبائي يتصل بأمر أخيكم.

هكذا خلص نبي الله يعقوب ، ثم رأى أن يرسل كتابا شديد اللهجة إلى عزيز مصر يتهدده ويتوعده إن هو لم يفرج عن بنيامين ، وهو ما قرأته في بعض المصادر العربية ، مثل قصص الأنبياء للعلامة [1] ابن كثير.

وانطلق أبناء يعقوب إلى مصر محملين بخريطة أبيهم يعقوب للعودة ببنيامين وتحسس أمر أخيهم يوسف ، تقابلوا أولا مع أخيهم لاوي وساعتها أعطوه رسالة أبيهم يعقوب على عزيز مصر، ثم حكى صورة بنيامين في مصر قائلا :

- أي عبد ؟! بنيامين يحيا حياة الملوك ، وعزيز مصر يتلطف به ، ويحرسه كما يحرس المرء عينيه ، يصحبه معه اينما ذهب ، ويجلسه إلى جنبه في عربته الخاصة ، لشدة الأثر الذي أدخله على عزيز مصر لا يطيق مفارقته.

وبرغم هذا فإن كل ما قيل عن بنيامين لم يلفت نظر الإخوة إلى شيء ، وكان حريا بهم أن يمعنوا النظر فيما قال (لاوي) عن أخيهم المحتجز عند عزيز مصر.

---

(١) راجع ص ٢٣٠.

وفي النهاية وصلوا إلى (يوزرسيف) ليقدموا له رسالة أبيهم يعقوب التي سطرها بدموع عينيه :

من عبد الله يعقوب إلى عزيز مصر (يوزرسيف) : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لطالما ابتلى رسله وأنبياءه وذراريهم ، وامتحننا بألوان المصائب والشدائد ، ابتلى جدي إبراهيم بنار سعرها له النمرود ، وساق عمي إسماعيل موحيا إلى أبيه ـ أن يقدمه قربانا.

أما أنا فقد ابتلاني بفراق ولد هو قرة عيني وفلذة كبدي ، ذات يوم سحبوه إلى الصحراء ، ثم رجعوا ومعهم قميصه الملطخ بالدم ، وكان لي ولد آخر ، هو أخو يوسف ، كنت أشم فيه رائحة يوسف وكان عوض أخيه بلسما لجراح قلبي المفطور ، أخذه إخوته معهم إلى حيث أنت ، وعادوا بدونه ، وقد علمت من الناس أنك استرقيته بجرم السرقة ، فلا يخالجنك شك أن ذراري الأنبياء أبعد خلق الله عن السرقة واللصوصية.

جل ما أقوله في كتابي هذا : إن فراق ولديّ يوسف وبنيامين قد أنهك قوتي ، وذهب بنور بصري ، أسألك أن تفك قيد ولدي بنيامين وتسرحه إلى أبيه الشيخ العاجز ، فلتخلصه بذلك من فجيعة الفراق ، حينها سأذكرك بكل خير في دعائي وفي صلواتي.

أما إذا أبيت عليّ ذلك ولم تترحم على ذلك الشيخ الضرير فلأصرخن من أعماق قلب كوته نيران الفراق حيث تحيل ألسنتها ملكك وسبعة أجيال من ذراريك إلى رماد ، فلا يكون لك قبل بدفعها ومواجهتها.

عبد الله يعقوب

كلام يذيب الصخر على صلادته وصلابته ، ولذا فإن يوسف بمجرد قراءة رسالة أبيه انفجر باكيا قائلا لهم :

- الويل لكم ، ماذا فعلتم بيوسف ؟! أتعرفون أي عذاب قاساه أبوكم نبي الله بسبب ما اقترفته أيديكم.

وبرغم هذا كله فإن أبناء يعقوب تمسكوا بأقوالهم وادعاءاتهم القديمة مما حمل أخاهم يوسف على مجابهتهم بالحقائق التالية :

١- وثيقة بيع يوسف التي تنص على :

نحن عشرة إخوة من أهل كنعان نبيع عبدنا يوسف إلى مالك بن ذاعر بثمانية عشر درهما بشرط أن يأخذه إلى أرض مصر أو بلاد نائية بحيث لا يتمكن من العودة أبدا على أرض كنعان.

وبرغم هذا كله فإن الإخوة أنكروا وأنكروا مدعين بأنه كان في بيتهم عبد وكان مشاغبا فاضطروا لبيعه بسبب ذياك الشغب ليرتاحوا من شره.

٢- التفت إلى بنيامين ليرد على إخوته الذي أنكر على الفور كل ادعاءاتهم.

ولكن لاوي بدأ يقتنع بكلام يوسف فتساءل : كيف وصل الصك إليك وإلى السيدة زليخة التي تجيب : أنا أخذت السند من يوسف ، يوسف نفسه الذي تم بيعه إلى السيارة.

ولكن إخوة يوسف ظلوا على إنكارهم وتساءلوا كيف انكشفت كل هذي الأسرار وانعرفت و(انفتشت) ويرد يوسف : من سؤال ذلك الصواع ، نفس الصواع

الذي تم إخراجه من رحل بنيامين ، هذا الصواع يحدثني أحيانا ، ويتساءل لاوي : أو ينطق هذا الصواع :

- إن يوسف ضربه إخوته وبالغوا في شتمه ، وأنزلوا به الجراحات.
- إنكم قررتم أن تقتلوه ، لكن لاوي حال دون ذلك ، فألقيتموه في غياهب الجب ، ورأيتم أن تزعموا لأبيكم أن يوسف أكله الذئب.

وكان يوسف يطرق على الصواع بشيء في يده ، ويقول لهم : إن الصواع يخبره بصوته هذا بكل شيء ، وبطبيعة الحال ، هذه المعلومات مصدرها يوسف نفسه ، ليس الصواع !!.

ويكمل بنيامين : أنا شهدت عليكم عندما عدتم بقميص أخي ملطخا بالدماء ، وزعمتم أن الذئب أكله.

ولكن الإخوة ما زالوا سادرين في الإنكار والكتمان ، فهذا أحدهم (شمعون) يقول تعقيبا على ما سمع من أخويه :

- هذه الأمور كلها أخبركم بها بنيامين ، ليست صحيحة أبدا ، كلها أكاذيب ، كلها.

ولكن لاوي يهزه بعنف قائلا وقاطعا هذا الإنكار المستميت : صواعكم يقول الحق - يا عالي المقام - ألا إن طبول الفضيحة قد قرعت ، دعوه يتكلم ، نسمعك ، نسمعك يا عالي المقام :

- لقد بعتم أخاكم يوسف إلى السيارة التي كانت أخرجته من الجب بثمانية عشر درهما ، لقد بعتم أخاكم عبدا ذليلا ، وقد غفلتم عن حقيقة أنه كان يذهب مختارا ، فهو كان يعلم بأن رسالة عظيمة تنتظره.

- قامت السيارة بوضع الأغلال في يديه ، كبلوا يديه ، وجلبوه إلى هنا ، إلى أرض مصر ، وباعوه في سوق النخاسين.

وبطبيعة الحال بأن الصواع ما قال شيئا ، إنما كان المتكلم (يوسف) هو من وقعت عليه هذي الأحداث التي يرويها بنفسه عن نفسه.

على أية حال فإن من حضر المقابلة مع الإخوة كان لكل واحد منهم دور في إجلاء الحقيقة وبيان الصورة ، كيف ؟

١- أنا أدعى مالك ، مشتري يوسف ، ذاك الذي أخرج يوسف من الجبّ ، مشتري يوسف ، أتذكرون جيدا.
٢- اسمحوا لي - تقول زليخة - أن أكمل أنا ما يخبر به الصواع ، بوتيفار عزيز مصر قام بشراء يوسف ، ورأى أن يهديه إلى زوجه (زليخة).

لاوي يفغر فاه متعجبا : (وهبك يوسف كهدية !!) وترد زليخة :

- أجل ، كنت مولاة (سيدة) ليوزرسيف لسنوات ، وإنما شب في قصري واشتد عوده ، أنا ايضا ظلمته ، كما ظلمتوه ، دبرت له المكائد ، ورميته في السجن ، فليغفر لي الله.

الحوار في هذي الحلقة (٤٤) شديد الروعة والبهاء ، إنه يتصاعد صعودا إلى الحقائق وانحلال العقدة بشكل متدرج متأن جدا ، وبعد زليخة جاء دور أحد رجال يوسف المقربين (نيمي سابو) ليقول :

- قضى في السجن اثنتي عشرة سنة ذاق عذاب السجن ، وشقاء العمل في مقلع الحجارة لسنوات عديدة.

وهنا يضيف ساقي الملك (بلاروس) :

- إلى أن رأى ملك مصر الحكيم أخناتون مناما عجز عن تعبيره كل مفسري الأحلام في أرض مصر ، أنا كنت أعلم أن يوسف معبر عظيم ؛ إذ كنت قد رأيت مناما في السجن وفسره لي بالخير ، فقصصت رؤيا ملك مصر على يوسف ففسره بالخير أيضا.

وينتقل (الميكرفون) إلى قائد الحرس (رودامون) ليضيف إلى ما قيل :

- لقد كان تعبير يوسف لمنام الحاكم سببا مهما في خلاص يوسف من السجن إضافة إلى تسببه في نجاة أهل مصر من القحط والهلاك.

ويأتي دور أسنات زوج يوسف لتقول :

- النبي يوسف هو زوجي الآن (ثم تشير إلى ابنيها) منسا وإبراهيم هما ولدانا.

والآن انجلت الصورة تماما ، تماما أمام إخوة يوسف ، فجاءت هذي الحلقة كأقوى حلقات المسلسل ، حيث انجلت الغوامض رويدا رويدا وبتؤدة شديدة ، وينطلق لسان لاوي بالنتيجة الراعبة المرعبة الصاعقة مثل (تسونامي) :

ويوسف الآن عزيز مصر

وعندها يجلس يوسف متأثرا والدموع تنهمر من عينيه ، أما إخوته فيتساءلون في ذهول ذاهل :

- يوسف ، يوسف !! أنت يوسف ، أخونا يوسف ، عزيز مصر ، أخونا !!
- أجل ، انا هو يوسف ، وهذا أخي بنيامين.
- أخونا الذي لم نرض له بخلافة أبينا.

- أنا هو أخوكم ذاك ، لقد مَنَّ الله عليّ ، من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.
- أترى (يقول لاوي) كيف نطأطئ رءوسنا خجلا ، والآن ما الذي سوف تفعله بنا !!
- وما الذي قد يفعله الأخ لأخيه سوى العفو والتحنن.
- نحن كنا (ينفجر لاوي منفعلا في مشهد هو أقوى المشاهد في المسلسل) كنا إخوانك ، فلم فعلنا ما فعلناه بك يا يوسف !!.
- أما أنا فقد نسيت الماضي ، عفوت هناك في قعر الجب.
- لكني لا أريد أن يعفي عني.

(ويشتد هياج لاوي حتى ضرب وجهه بكلتا يديه) :

- نحن قد ظلمناك حقك - يا يوسف - فلا تفعل أنت ذلك ، عفوك هذا يقتلني - يا أخي - هذا العفو ، هذا العفو ، هو أكبر عقاب يمكن أن تنزله بنا ، أقسم عليك يا يوسف ، أقسم عليك يا يوسف أن تعاقبنا ، فأنا كرهت نفسي - يا أخي - أنا قد كرهت نفسي يا يوسف ، لعل هذا العقاب ، لعل هذا العقاب قد يكفر بعض ذنوبي ، فهذا العفو اشد عليّ من أي عقاب آخر تنزله بي.

انفعال شديد من جانب لاوي لما كتم من الحقائق عن أبيه وعن الناس ، وهذا المشهد هو أروع مشاهد هذا المسلسل ، لكن يوسف يرد بعد مسح الدموع عن عينيه قائلا :

- أحقا أنت تطلب العقاب يا لاوي ؟
- نعم يا نور عين أخيك ، فإن لم تعمد إليّ فتعاقبني ، فسوف أقوم أنا بمعاقبة نفسي.
- حسنا إن كنت تريد عقابا فتقدم إليّ.

يتقدم لاوي إلى يوسف ، لكنه ينظر يمنة ويسرة إلى إخوته من خلفه ، قائلا :

- اضرب يوسف ، اضربني يا يوسف (وإخوته خلفه يجهشون بالبكاء).
- أنا لم أحمل أية ضغينة في قلبي تجاهك وتجاه إخوتي.
- أقسم بالله ، أقسم بالله ، إنك تستطيع أن تنزل بي أشد من هذا العقاب ، فإن لم تعمد إليّ فتعاقبني على كل تلك الخطايا ، فإني أخشى أقوم بقتل نفسي ، سأرمي نفسي في التهلكة ، فهلا قمت بتعذيبي ، هلا قمت بمعاقبتي يا أخي ، أنا كنت شاهدا على ما فعله بك إخوتك ، ولم أحرك ساكنا ، كتمت شهادتي لسنوات ، ولم أحدث أبي بما جرى ، مروا الجلادين فليفصلوا رأسي ، مروهم أن يجلدوني بالسوط كي أكفر عن ذنوبي فيخرج الوحش الكاسر من كياني ، هذا الحياء يقتلني ، هذا الحياء يقتلني.
- هلا هدأت لاوي ، اهدأ (ثم يلتفت يوسف إلى إخوته قائلا) : لقد التقيت بكم عدة مرات ، قررت مرارا أن أصارحكم (يقول هذا وهو يحتضن إخوته واحدا واحدا) ولكن هذا المشهد المثير بين الإخوة ينتهي إلى الحقيقة الساطعة الصاعقة (تسونامي) :

إن هذا الطفل الذي أهانوه وضربوه وأنزلوا به الجراح ثم ألقوه
في غياهب الجب هو الآن عزيز مصر ، الشخصية الثانية
في بلدنا بعد إخناتون

وهكذا انحلت العقدة أمام كل الإخوة ، وقد أبدع لاوي في تيك الحلقة والتي كانت أكثر الحلقات في المسلسل إثارة وتشويقا.

وبقي الاب المسكين في كنعان يجتر أحزانه على الثلاثة من أبنائه الذين عنه غيبوا :

- يوسف.
- بنيامين.
- لاوي.

وجيء بقميص يوسف الذي طار به لاوي إلى أبيه ويحس الأب بالأمر : (إنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أن تُفَنِّدُونِ) [1] ، وبالفعل وصل القميص الذي ألقي على وجه يعقوب فارتد بصيرا في الحال ، ثم جاءت البشارة الأخرى ؟ إن على نبي الله أن يأتي بالعشيرة وكل متاعها ليعيشوا جميعا في أرض التي باركها الله بقدوم النبي الكريم ، واستقبلت مصر بأهليها ومسئوليها يعقوب أروع استقبال ، وعاش الرجل ومعه الأبناء والأحفاد في ناحية الكشح من ممفيس وبقوا حوالي ٦٠٠ سنة حتى أخرجهم من مصر فرعون الذي فصل القرآن حكايات مع نبي الله موسى الذي كان من أحفاد يعقوب.

ومن عجب أن يعقوب عندما دفن حسب وصيته في مقبرة جده إبراهيم في حبرون (الخليل) التي تقع الآن في الضفة الغربية الصابرة المحتسبة ، ولكن جثمان نبي الله يذهب معه مجموعة من أعيان مصر ووجهائها الذين أقاموا له مجالس عزاء لمدة سبعة أيام ثم عادوا إلى مصر.

---

(١) ٩٤ يوسف.

أما يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد أوصى أن يبقى جثمانه في مصر حتى يُخرجوا من مصر فيحملوا معهم جثمانه ليدفن في مغارة الخليل مع أبيه (يعقوب) وجديه (إسحاق وإبراهيم) وهو ما كان :

إذ يروى أن رسول الله نزل بأعرابي فأكرمه ، فقال : يا أعرابي ، سل حاجتك ، قال : يا رسول الله ، ناقة برحلها ، وأعنز يحلبها أهلي ، قالها الأعرابي مرتين ، فقال رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟ فقال الصحابة : يا رسول الله ، وما عجوز بني إسرائيل [1] ؟ قال : إن موسى أراد أن يسير ببني إسرائيل من مصر فأضِل عن الطريق ، فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك : إن يوسف أخذ علينا مواثيق الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا ، قال موسى : وأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ ما تدري أين قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل ، فأرسل إليها : دليني على قبر يوسف ، فقالت : لا ـ والله ـ لا أفعل حتى أكون معك في الجنة ، وكره موسى ما قالت ، فقيل له : أعطها حكمها ، فأعطاها حكمها ، فأتت بحيرة ، فقالت : انضبوا هذا الماء ، فلما نضبوه ، قالت العجوز : احفروا ههنا ، فلما حفروا إذا عظام يوسف ، فلما أقلوها من الأرض ـ أو إلى الأرض ـ فإذا الطريق مثل ضوء النهار.

وهذا يعني أن يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يعرف قبل موته أن بني إسرائيل سيخرجون من مصر ، أو سيُخرجون بضم الياء ، ولذا طلب منهم هذا الطلب.

---

(١) راجع : موقع ملتقى أهل الحديث www.ahlahldeeth.com
- رواه الحاكم في المستدرك ، حديث ٤٣٥٣.
- ورواه أبو يعلي الموصلي ، حديث ٧٠٩٣.

(وفاة يعقوب ويوسف ، عليهما السلام)

فما السر في بقاء الجسد الطاهر في مصرنا ؟ لقد مات يعقوب عن عمر مائة وأربعون عاما ـ كما قيل ـ فحمله يوسف إلى مقبرة الخليل إبراهيم في حبرون (مدينة الخليل) مع أبيه إسحاق ، وجده إبراهيم ، وهو ما أوصى به الأب يعقوب.

وبعد حوالي عشرين عاما ـ تقريبا ـ مات نبي الله يوسف ، عن عمر مائة وعشرين سنة ، وعندها اشتجر الناس واختلفوا أين يدفن الجثمان الطاهر لما يرجون من بركته ، وانتهى الرأي إلى دفنه في النيل حيث مفرق الماء بمصرنا ، فيمر الماء عليه ، ثم يتفرع إلى جميع ربوع مصر ، فيصيبون جميعا من بركاته ، فوضعوه في تابوت من الرخام ، وسد بالرصاص ، وطلي بالأطلية ، وطرح في النيل نحو مدينة (منف) التماسا لبركته على مصر [1].

فهل بقي مكانه حتى دلت عليه عجوز بني إسرائيل ـ كما سلف ـ ؟ ربما وربما ، ولكن بقاء الجسد الطاهر ما جاء عن رأي لنبي الله يوسف ، بل جاء ذياك البقاء عن أمر إلهي وإرادة إلهية ، ربما كان هذا لمزيد من البركات لهذا المصر الجليل ، والله أعلى وأعلم.

لكن من المؤكد أن جثمان يوسف (النبي) بقي عدة قرون في مصرنا الحبيب ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وصل الله على محمد وآل محمد ، وعلى إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد.

---

(١) راجع وفاة يعقوب ويوسف عليهما السلام في موقع www.fashion.azyya.com

المحتويات

